



تأملات في قوله تعالى :

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾

تأليف
فالح بن جبر الفضلي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ (١)

تأملات في قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾

تأليف
فالح بن جبر الفضلي

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ



دولة الكويت ـ شرق ـ الشارع الرئيسي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

أما بعد :

فكما بين سبحانه وتعالى أن التقوى والصبر ونصرة دين الله من أسباب النصر على الأعداء كما في قوله سبحانه :{ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } وقوله عز وجل:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } .

أيضا أمر سبحانه بالاستعداد المادي للأعداء والحذر منهم، فقال تعالى :{ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهَ وَعَدُوَّكُمْ } وقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}).

وجمع سبحانه بين التقوى وبين المرابطة والصبر ولم يكتف بواحدة دون الأخرى ، كما في قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } .

وقوله تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهَ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } .

وكل هذه الأدلة تدل على أن لا يكتفي المؤمن بإيمانه فقط ،بل عليه مع ذلك الصبر وإعداد العدة والقوة المادية الرادعة ، فلا يطلب السلامة من أعدائه والنصر عليهم ، دون أن يحرص على تلك الاسباب ؛ فهذا الفعل مخالف لأوامر الله عز وجل ومخالف للسنن التي وضعها سبحانه ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها شاهدة على ذلك.

إذن فلا بد من بذل جميع الأسباب المتاحة مع التوكل على الله عز وجل ، فالاستعداد المادي من الإيمان والتقوى ومن الواجبات المحتمات .

أما التواكل والكسل ، أو الاكتفاء ببعض الاستعداد أو الاقتصار على الحد الأدنى منه؛ فإنه خطأ كبير وخطر عظيم مع مخالفته للشرع القويم.

في هذا الكتاب جمع لبعض أقوال العلماء في وجوب الحذر من الأعداء ووجوب الاستعداد لهم ، وبيان المقصود من الاستعداد ، وأنه الاستعداد التام ، ببذل أقصى ما يمكن من الطاقة والوسع ، وليس المقصود به الاستعداد العادي فضلا عن اليسير ،فالقدر الواجب من الاستعداد ومن القوة ؛ هو كل ما يمكن تحصيله ، سواء كان مصانع للأسلحة ، أو تجهيز الجيوش القوية أو تدريب الشباب جميعا ، أو تخزين ما هو ضروري من مواد وعدة في أوقات الحروب، فكل ذلك وغيره مما تتطلبه الحروب في هذا الزمن يعتبر من القوة التي أمرنا الله بإعدادها وتجهيزها ، فلا يجوز التقصير فيها أو إهمال بعض جوانبها.

كما لا يجوز للمسلمين التأخر في الاستعداد حتى يفوت الوقت ، بل يجب المبادرة والتجهز في أسرع وقت ، وأن يكونوا حازمين باذلين كل ما يستطيعون من طاقات وإمكانيات ،وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (احرص على ما ينفعك) رواه مسلم .

وفي هذا الكتاب أيضاً بيان أن الاستعداد التام سبب لدحر الأعداء وهزيمتهم ، وسبب لمنعهم من تحقيق أهدافهم دون قتال ،فالاستعداد القوي يمنع الحروب ، وهو الذي يسمىٰ " السلم المسلح ".

كما أن الاستعداد ليس خاصا بالحكومات وإن كانت هي المخاطبة به أولا ، وهي التي بيدها معظم جوانبه ، ولكن أيضا يجب علىٰ المواطنين أنواع منه ، كما يجب عليهم مساعدة الحكومات فيما يمكن مساعدتها به ، وتشجيعها عليه وتحمل أعبائه .

و يجب عليهم الاعداد المعنوي وتهيئة النفوس له ،وأن يشعروا بالمسؤولية الملقاة علىٰ عاتقهم والخطر المحدق بهم ، والتوبة من ذنوبهم ، فهذه الأمور من أعظم أسباب النصر ، وكبت الأعداء ومنع هجومهم.

بل من أسباب منع الشر عموما ، ومن أسباب استمرار نعمة الرخاء والأمن ورغد العيش والحياة الطيبة ، قال تعالىٰ :{ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ، وقال " وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ}

فمسؤولية المحافظة علىٰ النعمة هي مسؤولية الجميع ، قال تعالىٰ : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) .

فالشكر سبب لثبات الموجود، وجلب للمفقود، قال تعالىٰ :{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً وَإِذاً لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً} ، وقال تعالىٰ : (إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ. وَإِذا أَرادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ. وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ) .

وفي صحيح البخاري عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا".

وكما جاء في شعر الحكمة :

إذا كنـــت في نعمـــة فارعهـــا فـــإن المعـــاصي تزيـــل الـــنعم

وداوم عليهـــا بشـــكر الإلـــه فـــإن الإلـــه سريـــع الـــنقم

وكتب :

فالح بن جبر الفضلي

في شهر شعبان من عام ١٤٣٨ للهجرة

التمهيد وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاستعداد للأعداء وشدة الحذر لا تنافي التوكل .

المطلب الثاني : الاستعداد والحذر من التقوى والايمان .

المطلب الأول : الاستعداد للأعداء وشدة الحذر منهم لا تنافي التوكل

يعتقد غلاة الصوفية أن الحرص على فعل الأسباب ينافي تحقيق التوكل على الله عز وجل ، وأنه دليل على ضعف الإيمان بالقضاء والقدر، ويعتبرون الحذر والتحرز من العدو؛ من ضعف الإيمان !.

فهم يرون عدم دفع الأقدار المؤلمة وأنه يجب التسليم لها مطلقا ،وإن كان بمقدور العبد إزالتها بالأسباب المشروعة ، فترك الأخذ بالأسباب أعلى مقامات التوكل عند المتصوفة! .

وبعض الناس في زماننا لا ينكر العمل بالأسباب ، ولا الاستعداد والحذر ؛ وإنما ينكر شدة الحرص عليها والاجتهاد فيها ، ويرى أن أخذها ينبغي أن يكون دون استقصاء ودون اهتمام ونشاط كبير أو عمل دؤوب ، فلسان حاله يقول : ينبغي الاكتفاء بالحد الأدنى منها.

وهذا الصنف قريب من سابقه ، ويؤدي تفكيره هذا إلى نفس نتيجة عقيدة التصوف[1] أو قريبا منها، لأنه سيضعف جانب العمل لديه ، وستكون حياته خالية من الجد والاجتهاد في أمور الخير .

فهو وإن لم ينكر العمل بالأسباب قولا؛ فإنه ينكره حالا وتطبيقاً، وبالتالي فإن تأثيره يسري عليه في حياته وفي أثناء دعوته وتوجيهاته في المجتمع وعلى المسلمين عموما .

---

(١) بل هذه عقيدة كثير من الصوفية الذين يعتبرون معتدلين بالنسبة لغلاتهم ، فالذي ينكر فعل الأسباب مطلقا فإنه قد وصل حد الهوس والجنون ، وإلا فكيف يأكل ويشرب ويمشي ، وقد ذكر عن أفراد منهم أنه لا يرفع اللقمة إلى فمه ، حتى اضطرت أمه إلى أن تطعمه بيدها ! وكان أكثرهم يسافرون للحج دون زاد مدعين أن هذا هو التوكل !

ولا شك أن كل هذا جهل بعقيدة أهل السنة ، وضلال بين في المعتقد وإن اختلفت درجاته ؛ كما أنه نقص في صدق العزيمة ،وانحراف عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف أجمع .

وهذا التفكير لما كثر أصحابه أدى إلى التأخر في حياة المسلمين في شتى المجالات ،وأدى إلى انتشار الشر والمنكرات في أوساط بعض المجتمعات الإسلامية ، ونشط دعاة الباطل فيها والفسق ،وقل الخير والإصلاح في المجتمع.[1]

فالله عز وجل أمر بإزالة الشر بالأسباب المعهودة التي يعرفها الناس ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم شاهدة في كل أحداثها على ذلك [2]، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان في الغاية القصوى في النشاط والعمل الدؤوب في كل مراحل دعوته ، فدعا الناس وعرض نفسه عليهم ونوع الاساليب ،واستمر في الدعوة حتى أذن الله له بالهجرة ،وكانت رحلته في الهجرة من المعالم البارزة في بذل الأسباب والوسائل ، وعندما وصل الى المدينة نجده مباشرة يبني ويعمل ويجاهد.

---

(١) يقول الشيخ ابن باز : (وينبغي أن يكون أهل الحق أنشط من أهل الباطل وأصبر عليه، إذا كان أهل الباطل يصبرون (١٠٠٪)، فالواجب على أهل الحق أن يصبروا (٣٠٠٪) و (٤٠٠٪) و (١٠٠٠٪)، حتى يكونوا أنشط من أهل الباطل ؛ لأن أهل الباطل يدعون إلى النار، وأنت تدعو إلى الجنة والسعادة، ولك مضاعفة الأجور، ففرق عظيم.) دروس للشيخ عبد العزيز بن باز - (١٥ / ٨).

(٢) قال ابن القيم : (وقد ظاهر بين درعين يوم أحد ولم يحضر الصف قط عريانا كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة واستأجر دليلا مشركا على دين قومه يدله على طريق الهجرة وقد هدى الله به العالمين وعصمه من الناس أجمعين وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد وجميع أصحابه وهم أولوالتوكل حقا وأكمل المتوكلين بعدهم : هو من اشتم رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة أو لحق أثرا من غبارهم فحال النبي وحال أصحابه محك الأحوال وميزانها) مدارج السالكين :(٢/ ١٣٤).

مع أنه سبحانه قادر على نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم بدون بذل الأسباب، وبدون ذلك التعب المضني ،والعمل الجاد منه صلى الله عليه وسلم ،وبدون تلك المشاق الهائلة والكفاح الطويل.

قال شيخ الإسلام :

(الحمد لله جميع الحوادث كائنة بقضاء الله وقدره وقد أمرنا الله سبحانه أن نزيل الشر بالخير بحسب الإمكان ونزيل الكفر بالإيمان والبدعة بالسنة والمعصية بالطاعة من أنفسنا ومن عندنا فكل من كفر أو فسق أو عصى فعليه أن يتوب وإن كان ذلك بقدر الله وعليه أن يأمر غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر بحسب الإمكان ويجاهد في سبيل الله. وإن كان ما يعمله من المنكر والكفر والفسوق والعصيان بقدر الله ليس للإنسان أن يدع السعي فيما ينفعه الله به متكلا على القدر بل يفعل ما أمر الله ورسوله كما روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان} . فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يحرص على ما ينفعه والذي ينفعه يحتاج إلى منازعة شياطين الإنس والجن ودفع ما قدر من الشر بما قدره الله من الخير. وعليه مع ذلك أن يستعين بالله فإنه لا حول ولا قوة إلا به وأن يكون عمله خالصا لله؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه وهذا حقيقة قولك: {إياك نعبد} والذي قبله حقيقة {وإياك نستعين} فعليه أن يعبد الله بفعل المأمور وترك المحظور وأن يكون مستعينا بالله على ذلك، وفي عبادة الله وطاعته فيما أمر إزالة ما قدر من الشر بما قدر من الخير ودفع ما يريده الشيطان ويسعى فيه من الشر قبل أن يصل بما يدفعه الله به من الخير. قال الله تعالى:

{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض} كما يدفع شر الكفار والفجار الذي في نفوسهم والذي سعوا فيه بالحق كإعداد القوة ورباط الخيل وكالدعاء والصدقة الذين يدفعان البلاء كما جاء في الحديث: {إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض} فالشر تارة يكون قد انعقد سببه وخيف فيدفع وصوله فيدفع الكفار إذا قصدوا بلاد الإسلام وتارة يكون قد وجد فيزال وتبدل السيئات بالحسنات وكل هذا من باب دفع ما قدر من الشر بما قدر من الخير وهذا واجب تارة ومستحب تارة....) [١].

وقال ابن الجوزي :

(واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} وقد أدخر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأزواجه قوت سنة)[٢]

وقال ابن القيم:

(الحكم الكوني القدري الذي للعبد فيه كسب واختيار وإرادة والذي إذا حكم به يسخطه ويبغضه ويذم عليه فهذا حقه أن ينازع ويدافع بكل ممكن ولا يسالم البتة بل ينازع بالحكم الكوني أيضا فينازع حكم الحق بالحق للحق فيدافع به وله)[٣]

وقال :

(أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودا وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريصا وأن يكون حرصه على ما ينتفع به فإن حرص على مالا

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٤٧).

(٢) تلبيس إبليس (ص: ٣١٩).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين - (١ / ٦٧).

ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على ما ينفع ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين به ليجتمع له مقام: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم إلا بمعونته فأمره بأن يعبده وأن يستعين به ثم قال ولا تعجز فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه)[١].

إذن من الحزم في الإسلام العمل الدؤوب ودرء الأخطار ما أمكن بالأسباب المتاحة.

قال الشيخ السعدي:

(الحازم هو الذي ينازع ويدافع الأقدار المؤلمة بما يدفعها قبل نزولها، أو يرفعها بعد نزولها، أو يخففها بالطرق المباحة أو المأمور بها، فإن أعياه ذلك استسلم للقدر، ورضي بقضاء الله، وسلَّم لأمره، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: نفر من قدر الله لقدر الله، كذلك يفر العبد مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه الله ظاهراً وباطناً، قال الله: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)} [الذاريات: ٥٠]. ويفر من أسباب الهلاك والعطب والضرر إلى أسباب النجاة والسلامة وحصول النفع، ولكن الشأن في معرفة الأسباب النافعة والضارة، ثم في سلوك خير الأمرين ومدافعة أشد الضررين، والله الموفق وحده)[٢].

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - (٥ / ١٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي ٢١/ ٢٩).

ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على ما ينفع ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين به ليجتمع له مقام: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم إلا بمعونته فأمره بأن يعبده وأن يستعين به ثم قال ولا تعجز فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه)[1].

إذن من الحزم في الإسلام العمل الدؤوب ودرء الأخطار ما أمكن بالأسباب المتاحة.

قال الشيخ السعدي:

(الحازم هو الذي ينازع ويدافع الأقدار المؤلمة بما يدفعها قبل نزولها، أو يرفعها بعد نزولها، أو يخففها بالطرق المباحة أو المأمور بها، فإن أعياه ذلك استسلم للقدر، ورضي بقضاء الله، وسلَّم لأمره، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: نفر من قدر الله لقدر الله، كذلك يفر العبد مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه الله ظاهراً وباطناً، قال الله: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)} [الذاريات: ٥٠]. ويفر من أسباب الهلاك والعطب والضرر إلى أسباب النجاة والسلامة وحصول النفع، ولكن الشأن في معرفة الأسباب النافعة والضارة، ثم في سلوك خير الأمرين ومدافعة أشد الضررين، والله الموفق وحده)[2].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - (٥ / ١٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي ٢١/ ٢٩).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي :

(بهذا التوكل التام والعمل الكامل نال المسلمون الأولون العز والشرف والسلطان وصلاح الأحوال ، وهذا الذي يجب أن يكون عليه المسلمون الآن ، وأن يكون العمل والتوكل نصب أعينهم ، فلا يميلوا إلى التواكل والتخاذل والإخلاد إلى البطالة والكسل ، فإن هذا ينافي التوكل الحقيقي غاية المنافاة ، كحال كثير من الناس في هذه الأوقات ، يشاهدون عدوهم يحاربهم ، ويسلبهم حقوقهم ، وهم ساكنون لا يدفعونه بوسيلة من الوسائل ، ولا يبدون ما يقدرون عليه من مقاومته التي لا يعذرون عن القيام بها ، فتكون النتيجة من هذا السكوت والتقاعد الضار ضياع استقلالهم ، وذهاب ملكهم وأموالهم ، والسيطرة على حقوقهم وحلول المصائب المتنوعة بهم من كل جانب ، ويقولون : نحن متوكلون ، كلا والله بل هم كسالى متواكلون ، قد استولى عليهم الخور ، وأعقبه الذل واستعباد الأجانب لهم).

فالإيمان بالقضاء والقدر يجعل المسلم في قمة الهمة والشجاعة والنشاط ، وبقدر قوة إيمانه به يحصل له الخير وينال المطلوب .

وقال الشيخ صالح الفوزان :

(ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: أنه يدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج والقوة والشهامة؛ فالمجاهد في سبيل الله يمضي في جهاده ولا يهاب الموت؛ لأنه يعلم أن الموت لا بد منه، وأنه إذا جاء لا يؤخر؛ لا يمنع منه حصون ولا جنود، {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} وقال : {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} ، وهكذا حينما يستشعر المجاهد هذه الدفعات القوية من الإيمان بالقدر؛ يمضي في جهاده حتى يتحقق النصر على الأعداء وتتوفر القوة للإسلام والمسلمين،

وكذلك بالإيمان بالقدر يتوفر الإنتاج والثراء؛ لأن المؤمن إذا علم أن الناس لا يضرونه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولا ينفعونه إلا بشيء قد كتبه الله له؛ فإنه لن يتواكل، ولا يهاب المخلوقين، ولا يعتمد عليهم، وإنما يتوكل على الله، ويمضي في طريق الكسب، وإذا أصيب بنكسة، ولم يتوفر له المطلوب؛ فإن ذلك لا يثنيه عن مواصلة الجهود، ولا يقطع منه باب الأمل، ولا يقول: لو أنني فعلت كذا؛ كان كذا وكذا. ولكنه يقول: قدر الله وما شاء فعل. ويمضي في طريقه متوكلاً على الله، مع تصحيح خطئه، ومحاسبته لنفسه، وبهذا يقوم كيان المجتمع وتنتظم مصالحه، وصدق الله حيث يقول: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً})[1] .

(فرجال الجد والنشاط مؤيدون ، ورجال الكسل والتواكل مخذولون ، والمحققون في كل شيء محبوبون منصورون)[2].

المطلب الثاني : الاستعداد والحذر من التقوى والايمان .

الاعتقاد بأن الإيمان يكفي لدحر الاعداء أو يمنعهم من مهاجمة المسلمين دون بذل الأسباب المادية من أعظم الأخطاء .

فلا يصح أن يعتقد المسلم أن الشرور تُدفع عن المسلمين لمجرد إيمانهم وتوحيدهم وأن المصائب والهزائم لا تحل بهم إلا بسبب ضعف إيمانهم ومعاصيهم فقط ، وليس بسبب تقصيرهم بالأسباب المادية أيضا ، ولا يجوز أن يستكين لهذا الاعتقاد الباطل، بحيث لا

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ٣٠٣).

(٢) تفسير المراغي (٢٦/ ٤٤).

يحرص على الأسباب المادية ، ولا يعطيها حقها ،ولا يدعو لها بقوة أو يحث عليها بالحال أو المقال.

قال شيخ الإسلام :

(فإن كانت الأسباب مقدورة له وهو مأمور بها : فعلها مع التوكل على الله، كما يؤدي الفرائض وكما يجاهد العدو ويحمل السلاح ويلبس جنة الحرب ،ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد ،ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط مذموم)[١].

وقال الشيخ ابن باز :

(فلا يجوز أن يقول المجاهد أنا مؤمن ويكفي ، بل لا بد من الأسباب الحسية المعنوية..)[٢].

وقال :

(وإنما يصاب أهل الإسلام في بعض الأحيان بسبب ما يحصل منهم من الذنوب والتفريط في أمر الله وعدم الإعداد المستطاع لأعدائهم ولحكم أخرى وأسرار عظيمة..)[٣]

وقال أيضاً :

(فكل ما أصاب المسلمين في الجهاد أو غيره من هزيمة أو جراح أو غير ذلك مما يكرهون ، فهو بأسباب تقصيرهم وتفريطهم فيما يجب من إعداد القوة والعناية بأمر

---

(١) مجموع الفتاوى - (٨/ ٥٢٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز :(٧/ ١٨).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز -:(٢/ ٣٤) .

الحرب ، أو بأسباب معاصيهم ومخالفتهم لأمر الله ، فاستعينوا بالله أيها المجاهدون واستقيموا على أمره وأعدوا لعدوكم ما استطعتم من قوة)[١].

وقال :

(.. فكيف يطمع أحد بعد ذلك أن يسلم أو يقول متى كنت متقيا أو مؤمنا فلا يصيبني شيء، ليس الأمر كذلك بل لابد من الامتحان ، ومن صبر حمد العاقبة ، كما قال الله جل وعلا : { فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } { وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ } فالعاقبة الحميدة لأهل التقوى ، متى صبروا واحتسبوا وأخلصوا لله وجاهدوا أعداءه وجاهدوا هذه النفوس ، فالعاقبة لهم في الدنيا والآخرة ..)[٢].

فترك اعداد العدة أو التقصير بالأسباب الحسية ذنب من الذنوب ويخالف كمال الإيمان الواجب ، لأن الله عز وجل أمر به ، فالقيام بالأسباب المادية من طاعة الله الواجبة ومن مقتضيات التوحيد.

قال شيخ الإسلام :

(فليس من فعل شيئا أمر به وترك ما أمر به من التوكل بأعظم ذنبا ممن فعل توكلا أمر به وترك فعل ما أمر به من السبب ؛ إذ كلاهما مخل ببعض ما وجب عليه وهما مع اشتراكهما في جنس الذنب فقد يكون هذا ألوم وقد يكون الآخر، مع أن التوكل في الحقيقة من جملة الأسباب .. ففي قوله صلى الله عليه وسلم " { احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز } " أمر بالتسبب المأمور به وهو الحرص على المنافع . وأمر مع ذلك بالتوكل وهو

---

(١) المرجع السابق: (١٨/ ١٦٢) .

(٢) المرجع السابق : (٢ / ٢٨٩) .

الاستعانة بالله فمن اكتفى بأحدهما فقد عصى أحد الأمرين ونهى عن العجز الذي هو ضد الكيس)[١].

وقال الشيخ ابن باز :

(.. ومن المعاصي التفريط في أسباب النصر الأسباب الحسية التي جعلها الله أسبابا لا بد منها، كما أنه لا بد من الأسباب الدينية، فالتفريط في هذا أو هذا سبب الخذلان والله جل وعلا يقول في كتابه العظيم وهو أصدق القائلين : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ })[٢].

وقال:

(وإنما يؤتى المسلمون من جهة تقصيرهم وتفريطهم ، فإذا قصروا في أمر الله أو فرطوا فيه ، أو تركوا ما يجب عليهم من الإعداد الواجب الذي أمر الله به في قوله تعالى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أو تركوا الحذر الذي أمرهم الله بأخذه في قوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } متى فرط المسلمون في شيء مما أوجبه الله عليهم ، أو فرطوا باكتساب ما حرم الله عليهم فإنهم قد يصابون بسبب ذلك ، أو يسلط عليهم العدو بسبب ذلك)[٣] .

وقال الشيخ ابن عثيمين :

(فالواجب على المسلمين أن يعدوا ما استطاعوا من قوة وأولها: الإيمان والتقوى ،ثم يلي قوة الإيمان والتقوى، أن يتسلح المسلمون ويتعلموا كما تعلّم غيرهم؛ لكن المسلمين لم

---

(١) مجموع الفتاوى : (١٨ / ١٨١) .

(٢) مجموع فتاوى ابن باز :(٧ / ٦).

(٣) المرجع السابق : (٨ / ١٧٤).

يقوموا بما عليهم ، فالواجب في هذه الأزمنة الاستعداد بالإيمان والتقوى، وأن يُبذل الجهد، والشيء الذي لا يُقدر عليه فإننا غير مكلفين، ونستعين بالله - عز وجل- على هؤلاء الأعداء)[١].

فالله عز وجل القائل :(أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) والقائل :{ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } والقائل : { وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } ، هو الذي أمر ببذل الأسباب والصبر والمصابرة فقال :" أَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ": وقال :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ"وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ.. " فمن لم يطبق أوامر الشرع في اتخاذ الأسباب المادية ؛ يعتبر غير محقق للأمر بالتقوى والايمان الواجب ، وبالتالي لا تنطبق عليه آيات الوعد بالنصر السابقة ، وهذا أمر ينبغي التفطن له .

قال شيخ الإسلام :

(فما أكثر من يظن من الناس أنه من أهل الوعد ويكون اللفظ في ظنه أنه متصف بما يدخل في الوعد لا في اعتقاد صدق الوعد في نفسه . وهذا كقوله : { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد } وقوله : { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين } الآيتين فقد يظن الإنسان في نفسه أو غيره كمال الإيمان المستحق للنصر وإن جند الله الغالبون ويكون الأمر بخلاف ذلك . وقد يقع من النصر الموعود به ما لا يظن أنه من الموعود به فالظن المخطئ فهم ذلك كثير جدا..)[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين -:(٢٥ / ٣١٠).

(٢) مجموع الفتاوى - (١٥ / ١٩٤)

وقال ابن باز _ رحمه الله _ :

(.. فذكر التقوىٰ أولا وهي أعظم الأسباب لأن حقيقتها طاعة الله ورسوله في كل شيء ومن ذلك الأخذ بالأسباب الحسية والمعنوية والسياسية والعسكرية ثم ذكر التوكل..)[١].

وأسوأ من هذا من يعتقد أن أرضا معينة أو بلدا يدفع عن أهله البلاء .

قال شيخ الاسلام :

(ومن ظن أن أرضا معينة تدفع عن أهلها البلاء مطلقا لخصوصها أو لكونها فيها قبور الأنبياء والصالحين فهو غالط . فأفضل البقاع مكة وقد عذب الله أهلها عذابا عظيما فقال تعالىٰ : { وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون } { ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون})[٢] .

كذلك من يرىٰ أن الكفار والمشركين لا يمكن أن ينتصروا علىٰ المسلمين وإن عصوا الله عز وجل وغيروا وبدلوا ،لأنهم مهما فعلوا فإنهم أقل ضلالا وبعدا عن الله من الكفار .

فيقال له ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمسلمين في أثناء توجههم للجهاد:(.. ولا تقولوا أن عدونا شرٌ منا، فلن يسلط علينا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط علىٰ بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعدا مفعولا، أسألوا الله العون علىٰ أنفسكم، كما تسألونه النصر علىٰ عدوكم. أسأل الله ذلك لنا ولكم).

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز - (٣ / ٣٤٥)

(٢) مجموع الفتاوىٰ - (٢٧ / ٤٤٢)

كما أن الواقع يثبت ذلك في العصر الحالي والسابق ، وقد تمكن القرامطة عقوداً من الزمن يعيثون فسادا ، حتى أخذوا الحجر الأسود من الكعبة ، وكذلك تمكن العبيديون من مصر، واحتل النصارى القدس وكثير من الديار الشامية أثناء الحروب الصليبية حتى طردهم صلاح الدين ، وكذلك أيام الاستعمار ، وغيرهم كثير .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

(وبالإطلاع على التاريخ نجد أنه بحسب تمسك الأمة بالدين الإسلامي وتطبيقه يكون انتصارها ، وبحسب إعراضها وتساهلها بالدين يكون ضعفها وانهيارها . فانظر حالة المسلمين في زمن الخلافة والدولة الأموية والعباسية وزمن نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي ، ثم حالة المسلمين بعد ذلك حينما تساهلوا بالدين وضعف تمسكهم به إلى ما وصلوا إليه من ذل واستعباد وما ظلمهم الله (ولكن كانوا هم الظالمين) وهذا مصداق قوله تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم) وقوله : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وورد في بعض الآثار : إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، وتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله : أدخل الله عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم " أخرجه الحاكم والطبراني والبيهقي بإسناد حسن)[1].

فعلى من يريد الإصلاح والنصر ودحر الأعداء أن يذكر المسلمين بالتقوى والتوبة والعمل الصالح ، ويذكرهم أيضا ويحثهم بالأخذ بالأسباب المادية غاية ما يستطيعون .

---

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٤/ ٦٣).

قال الشيخ ابن باز :

(..ولكنه عز وجل شرط لهذا الوعد شرطا عظيما وهو الإيمان به وتقواه ونصر دينه والاستقامة عليه مع الصبر والمصابرة ، فمن قام بهذا الشرط أوفى لهم الوعد وهو الصادق في وعده : { وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ } ومن قصر في ذلك أو لم يرفع به رأسا فلا يلومن إلا نفسه ..)[1].

وقال المراغي :

((و اعلموا أن الله مع المتقين) أي واعلموا أن الله معكم بالمعونة والنصر إذا اتقيتموه وراعيتم أحكامه وسننه ، وابتعدتم عن التقصير في أسباب النصر والغلب من إعداد العدة المناسبة للزمان والمكان التي عناها الله بقوله « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ومن الثبات والصبر ، والطاعة وحسن النظام ، وترك التنازع والاختلاف ، وكثرة ذكر الله والتوكل عليه فيما وراء الأسباب والسنن المعروفة)[2].

فلا بد من الحرص على العمل النافع ، وليس حرصا ضعيفا ، وإنما الحرص الشديد فيما ينفع المرء في آخرته ودنياه ، وفيما يدفع الشرور لاسيما الأعداء ، فهذا ليس حرصا على ملذات الدنيا المباحة التي نهانا الشرع عن المبالغة فيها ، وإنما حرصا على بقاء ديننا وتوحيدنا واستمراره في أعقابنا ، وحرصا على الدفاع عن أموالنا وحرماتنا من أعداء يتميزون غيظا وحقدا علينا ،وفي نفس الوقت أعداء مستعدون وأقوياء .

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٤١٧)

(٢) تفسير المراغي (١١ / ٥٠).

قال ابن القيم:

(ومنها أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع)[١].

وقال الشيخ السعدي:

(..لأن قوله: "احرص على ما ينفعك" أمر بكل سبب ديني ودنيوي بل أمر بالجد والاجتهاد فيه، والحرص عليه نية وهمة وفعلاً وتدبيراً ..)[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله _ :

(وقوله عليه الصلاة والسلام: (واستعن بالله) : ما أروع هذه الكلمة بعد قوله (احرص على ما ينفعك) لأن الإنسان إذا كان عاقلاً ذكياً فإنه يتتبع المنافع ويأخذ بالأنفع ويجتهد ويحرص..)[٣].

وقال الشيخ صالح الفوزان :

(ومعنى قوله: "احرص على ما ينفعك" يعني: بالغ في طلبهِ، وابذل الوُسع في تحصيله..)[٤].

وقال الشيخ عبدالله الغنيمان :

(فقوله: (احرص على ما ينفعك) أمر بفعل الأسباب، والمؤمن الضعيف هو الذي لا يفعل السبب الفعل التام ويكون عنده ضعف وهذا الضعف لا يحبه الله جل وعلا، فالله

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٨).

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة (ص: ٨٩).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٨٠).

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد :(٢/ ٢٣٣).

يجب أن يكون قوياً، ولا يكون قوياً إلا بفعل الأسباب، ولهذا يقول جل وعلا: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ } [الأنفال:٦٠] والإعداد: هو فعلهم، وإن كان فعلهم مخلوقاً لله جل وعلا، ولكنه باختيارهم)[١].

ومن لا يدعو إلى الأخذ بأسباب القوة في حاله أو قوله ، ولا يدعو إلى الاستعداد التام ويهمل هذا الأصل ويكتفي بالقليل من ذلك ؛ فإنه سيفعل في المجتمع كما فعلت الصوفية الذين خدروا الأمة وكانوا من أسباب ضعفها وهوانها واستيلاء الأعداء عليها أزمنة مديدة أيام الاستعمار وقبله .

يقول المراغي في تفسيره :

(وما غلب المسلمون في العصور الأخيرة وذهب أكثر ملكهم إلا لأنهم تركوا الاهتداء بهدى دينهم وتركوا الاستعداد المادي والحربي الذي طلبه الله بقوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » واتكلوا على خوارق العادات وقراءة الأحاديث والدعوات ، وذلك ما لم يشرعه الله ولم يعمل به رسوله)[٢].

فالصوفية يقولون ندور مع الزمان حيث دار ، ولا يصح مقاومة ما كُتب علينا قدرا.

يقول أحد كبارهم وهو الشعراني :

(لقد أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيفما دار..)[٣].

وكتب (بعض الصالحين إلى أخ له (صوفي) يستدعيه إلى الغزو، فكتب إليه: يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب مردود ! فكتب إليه أخوه: لو كان الناس كلهم

---

(١) شرح العقيدة الواسطية : (١/ ٢٤).

(٢) تفسير الشيخ المراغي : (٩ / ٢٠٩).

(٣) كتاب :الصوفية ركائز الاستعمار وانظر تاريخ العرب الحديث والمعاصر.

لزموا ما لزمت لاختلت أمور المسلمين وغلب الكفار، فلابد من الغزو والجهاد، فكتب إليه: يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم وعلى سجاداتهم: الله أكبر، لانهدم سور القسطنطينية !)[١].

قال الشيخ صالح آل الشيخ مبينا حال الصوفية وما جرته على الأمة من ويلات :

(وقوله (عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ) أخرج طوائف ، أخرج من ذكرنا (يعني الخوارج)لأن هؤلاء غلوا في الأمر بالمعروف ونهوا عن المنكر حتى جعلوا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الخروج على ولاة الجور والولاة الذين يظلمون أو الفجار من الولاة ، جعلوا الخروج عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذا من الغلو وهذا باطل مخالف لطريقة أهل السنة والجماعة .

ويقابل هؤلاء من ترك الأمر والنهي أصلاً كحال المتصوفة وحال الذين يرون القَدَرَ ماضياً في الناس فلا يحتاج إلى أمر ونهي .

وبسبب هؤلاء المتصوفة دخل أعداء الملة والدين وأعداء الإسلام بلاد الإسلام .

وقد يشابههم غيرهم ممن يتركون الأمر والنهي بحججٍ واهية .

فمن أسباب دخول الفرنجة ودخول الصليبين بلاد الإسلام كثرة المتصوفة في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس ، فكثرة أولئك سببت دخول الصليبيين لأنهم أَقْعَدُوا الناس عن الأمر والنهي وأحبطوا في النفوس الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،فعندنا طائفتان وأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء ،قوم غلوا كالخوارج ومن شابههم ، وقوم جفوا وهم الصوفية ومن شابههم ،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عَلَىٰ

---

(١) كتاب :الصوفية غيبوبة عقلية.

مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ يتطلب كما ذكرنا علماً و غَيْرَةً ، لابد أن يجتمع هذا وهذا ؛ فالعلم فات الخوارج والمعتزلة ومن شابهم ، والغَيْرَة على دين الله فاتت الصوفية ومن شابهم)[١] .

(١) شرح العقيدة الواسطية - صالح آل الشيخ - (٢ / ٢٩٣)

المبحث الأول وفيه مطالب

المطلب الأول: الحذر من الأعداء واجب وليس مستحباً فقط

المطلب الثاني: الحذر يشمل أمورا عديدة .

المطلب الثالث: من الحذر مبادرة الأعداء قبل هجومهم .

المطلب الأول : الحذر من الأعداء واجب:

لا بد أن نعلم بأن الحذر من العدو من الواجبات الشرعية التي يأثم المسلم بتركها، فكل مجال للحذر ينبغي اتخاذه ، وهو من الأسباب المشروعة للنصر ودفع البلاء ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ بالحذر في جميع أموره ، فيلبس الدروع ويُحرس من قبل أصحابه في وقت الحاجة ، وكان يرسل العيون أمام الجيش ويتتبع أخبار العدو ليطلع عليها بكل دقة فيعرف أحواله وتحركاته وأعداده ، ويخفي وجهته بالغزوات حتى لا يعلم بها أحد ، وكان يفاجئ الأعداء في حروبه ، ويستخدم الأساليب الفعالة في قتاله ، فتارة يرسل جيشا كبيرا ، وتارة يرسل سرية صغيرة سريعة الحركة ، وتارة يرسل الرجل والرجلين ومن أقواله صلى الله عليه وسلم : (الحرب خدعة). متفق عليه .

وقوله :(لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) .متفق عليه .

وكان أيضا يستخدم أسلوب التفرقة في صفوف العدو ، وبث الدعايات المؤثرة فيه التي تفت عضده كما في قصة نعيم بن مسعود حيث فرق بالحيلة والخدعة بين اليهود وبين قريش وغطفان كما في قصة الخندق المعروفة .

فالحذر من العدو بكل أنواعه والمبالغة في ذلك ، وخديعته والاستعداد التام للحرب لا تنافي الشرع ، ولا تنافي الشجاعة أيضاً أو القوة.

قال في تحفة الأحوذي : (وفي الكشاف : جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي ، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة بالأخذ دلالة على التيقظ التام والحذر الكامل ومن ثم قدمه على أخذ الأسلحة)[1] .

---

(١) ٣٥٦/٧.

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ :

(ومن ذلك قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } ونحوها من الآيات التي أرشد الله فيها إلى شدة التحرز من الأعداء، فكل طريق وسبب يتحرز به من الأعداء فإنه داخل في هذا، ولكل وقت لبوسه)[١].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز :

(ولا ريب أن من أهم الواجبات الإيمانية : أخذ الحذر من عدونا ، وأن نعد له ما نستطيع من القوة، وذلك من تمام الإيمان ، ومن الأخذ بالأسباب التي يتعين الأخذ بها ، ولا يجوز إهمالها ، كما في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } وقوله تعالى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ})[٢].

وقال :

(الواجب على الدول الإسلامية أن تستعد لأعداء الله وتحذر مكائدهم ، وأن تستقيم على دين الله، وأن تلزم الحق وأن تعد العدة دائما ، لا تغفل ولا تأمن مكر العدو ، يقول الله جل وعلا في كتابه العظيم : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ })[٣].

وقد ذكر الله عز وجل الحذر في كتابه مرات عديدة وكرره مرتين في آية واحدة تأكيداً له وبياناً لوجوبه وشدة أهميته ، قال تعالى : (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ

---

(١) مؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي (٤/ ٩٠).

(٢) نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع (ص: ٤٠).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٢٧/ ٣١٢).

عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) .

قال ابن حيان في البحر المحيط :

(وتكرير الأمر بأخذ الحذر في الصلاة. وفي هاتين الحالتين مما يدل على توكيد التأهب والاحتراز من العدو ، فإنّ الجيش كثيراً ما يصاب من التفريط في الحذر)[1] .

وقال ابن العربي المالكي :

(وهذا يدل على تأكيد التأهب والحذر من العدو وترك الاستسلام ؛ فإن الجيش ما جاءه قط مصاب إلا من تفريط في حذر)[2] .

وقال الشيخ ابن باز – رحمه الله – :

(فتأمل يا أخي أمر الله لعباده أن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا من القوة، ثم تأمل أمره لنبيه – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين عند مقاتلة الأعداء والقرب منهم أن يقيموا الصلاة ويحملوا السلاح وكيف كرر الأمر سبحانه في أخذ السلاح والحذر لئلا يهجم عليهم العدو في حال الصلاة، لتعرف بذلك أنه يجب على المجاهدين قادة وجنودا أن يهتموا بالعدو، وأن يحذروا غافلته، وأن يعدوا له ما استطاعوا من قوة، وأن يقيموا الصلاة ويحافظوا عليها مع الاستعداد للعدو والحذر من كيده، وفي ذلك جمع بين الأسباب الحسية والمعنوية، وهذا هو الواجب على المجاهدين في كل زمان ومكان أن يتصفوا بالأخلاق

---

(١) البحر المحيط (٤ / ٥٢).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي – (٢ / ٤٧١).

الإيمانية، وأن يستقيموا على طاعة ربهم ويعدوا له ما استطاعوا من قوة ويحذروا مكائده)[1].

بل إن بعض العلماء يرى وجوب حمل السلاح في صلاة الخوف مطلقاً لظاهر الآية ، وهو مذهب المالكية وقول للشافعية ورواية عند الحنابلة[2] ، مع أن بعض العلماء الآخرين قالوا : إن حمل السلاح هو من أجل الرفق بهم والصيانة فيستحب ولا يجب .

قال ابن قدامة :

(.. ويحتمل أن يكون واجبا وبه قال داود والشافعي في القول الآخر والحجة معهم لأن ظاهر الأمر الوجوب وقد اقترن به ما يدل على إرادة الإيجاب به وهو قوله تعالى { ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم } ونفي الحرج مشروطا بالأذى دليل على لزومه عند عدمه فأما إن كان بهم أذى من مطر أو مرض فلا يجب بغير خلاف بتصريح النص بنفي الحرج فيه)[3]

وقال الشيخ ابن عثيمين :

(والصحيح أن حمل السلاح واجب، لأن الله أمر به فقال: {فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم} ولأن ترك حمل السلاح خطر على المسلمين، وما كان خطرا على المسلمين فالواجب تلافيه والحذر منه)[4].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٤٢١).

(٢) انظر المغني لابن قدامة (٢/ ٢٦٣) .

(٣) المرجع السابق (٢ / ٢٦٣).

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع - (٤ / ٤١٣).

وقال الشنقيطي :

(والصحيح والأقوىٰ هو مذهب الظاهرية وطائفة من أهل الحديث ويقول به جمع من الفقهاء، وهو أن حمل السلاح واجب؛ لأن الغالب أن العدو يتربص، والله سبحانه وتعالىٰ نبه علىٰ هذا، ولما ورد الأمر بأخذ السلاح وحمل السلاح فالأصل في هذا الأمر أن يبقىٰ علىٰ ظاهره حتىٰ يدل الدليل علىٰ صرفه عن هذا الظاهر، ولذلك لا بد من حمل السلاح، وحمل أقل ما يدفع به العدو من رشاش، أو نحو ذلك من الأسلحة التي يمكن أن يدفع بها العدو لو هجم عليهم، وهكذا لو كان الموضع الذي يصلي فيه يوضع فيه من الآلات والأجهزة ما يمكن به الدفع عند مباغتة العدو، فبعض الأجهزة الآن لا يمكن حملها علىٰ جسد الإنسان، كالرشاش الكبير أو نحو ذلك، فيمكن أن يصلي وهو بجواره، بحيث لو دهم العدو يدفعه، أما أن يتركه في موضعه ويتباعد عنه فإن هذا يخالف نص القرآن لقوله تعالىٰ: { وَخُذُوا حِذْرَكُمْ}، فليس من الحذر أن يترك الإنسان سلاحه ومع غلبة الظن بأن العدو يتربص، والله سبحانه وتعالىٰ يقول: { وَخُذُوا حِذْرَكُمْ } ، فليس من الحذر ذلك، فكونه يأمر بحمل السلاح ثم يقول: { وَخُذُوا حِذْرَكُمْ }، يدل دلالة واضحة علىٰ أن الأمر بحمل السلاح علىٰ الوجوب، وهذا من القوة بمكان)[1].

إذن لابد للمسلمين من الحذر من الأعداء ، وأن لا يغفلوا عن مكائدهم ، بل يتعاملون معهم علىٰ أسوأ الاحتمالات ، وأن يسيئوا الظن بهم مطلقاً.

---

(١) شرح زاد المستقنع للشيخ محمد المختار الشنقيطي (٩/ ٩٨).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي:

(وظن السوء بأهل الريب والمتظاهرين بالشر والاحتياط في أمرهم مأمور به، والتحرز من الأضرار التي يُخشى من وقوعها يُعد من الحزم والحذر)[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

(إذاً فيجب علينا الحذر من مخططاتهم، وأن نكون دائماً على سوء ظن بهم؛ لأن إحسان الظن بهم في غير محله؛ وإنما يحمل عليه الذل، وضعف الشخصية، والخور، والجبن)[٢].

وقال الزحيلي:

(إن هذه الإثارة وتأجيج الفتنة وبذر بذور التفرقة بين المسلمين من قبل غيرهم تعطينا دليلا واضحا وعبرة وعظة وهو أن معطيات العقل والتجربة والمصلحة أسباب تقتضي الحذر من الأعداء، والتنبه للمخاطر وألوان المكر والمؤامرات، فإن سوء الظن قد يكون أحيانا عصمة من الوقوع في الشرور، وحسن الظن ورطة، والغفلة عن مكائد الأعداء نوع من البله والسذاجة، فهل نعتبر ونتعظ من حادث واحد، فضلا عن تكرار العبر والدروس في تعاملنا مع الآخرين؟)[٣].

فالمؤمن الحقيقي يقظ فطن ذو انتباه وذكاء، كما أنه لا ينسى تاريخ الأشرار معه وما فعلوه به سابقا ومن باب أولى ، لا يتناسى ما يفعلونه حاليا وهو يشاهده بأم عينه وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم" لا يلدغ المؤمن من حجرٍ واحدٍ مرتين ".

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ السعدي (٢١/ ٣٢).

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٤٢).

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي (١/ ٢٢١).

قال البغوي:

(هذا حديث متفق على صحته أخرجه مسلم أيضاً عن قتيبة. ومعنى الحديث : أن المؤمن الممدوح هو الكيس الحازم الذي لا يؤتى من ناحية الغفلة مرة بعد أخرى ، وهو لا يشعر. وليكن متيقظاً حذراً حتى لا يقع في مكروهٍ ، وهو لا يشعر. وقال عمر رضي الله عنه : لا تأمن عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ،والأمين إلا من خشيَ الله عز وجل)[1].

المطلب الثاني الحذر يستلزم أموراً عديدة

والحذر يستلزم التأهب التام للعدو وشدة التيقظ له ، وحراسة الثغور بكل ما أمكن ، كما يستلزم معرفة ما لدى العدو من قوة ،ومعرفة مخططاته وإمكانياته ، وما ينوي القيام به ؛ بحيث لا يخفى على المسلمين شيءٌ من أحوال أعدائهم ، وبحيث لا يمكن أن يأخذهم العدو على غرة.

وفي وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقادة الجيوش :

(فأذك العيون بينك وبينهم _ ولا يخفى عليك أمرهم _ وتحفظ من البيات جهدك)[2] .

(١)شرح السنة (١٣ / ٨٨)

(٢) بدائع السلك في طبائع الملك - (١ / ١٦٠)

وفي أيسر التفاسير :

(يأمر الله تعالىٰ المؤمنين بأخذ الحذر من الأعداء ، وهذا يستلزم التعرف علىٰ أحوال هؤلاء الأعداء، ومعرفة أرضهم ، وعددهم ، وسلاحهم ، وأحلافهم ، وثروتهم ، كما يستلزم التأهب لهم ، وإعداد الرجال للحرب وتدريبهم وتسليحهم ، وجمع السلاح والمؤن ووسائل النقل والركوب ، والاستعداد للنفير للقتال ، حينما يدعو داعي الجهاد ، والخروج جماعات متلاحقة (ثبات) ، أو خروج المؤمنين كلهم جميعا ، حسب حال العدو ، وخطره وقوته ، والخطر الذي يتهدد الأمة)[1]

وقال الشيخ عبدالله العقلا :

(من آكد الواجبات علىٰ القادة الحذر الدائم في كل وقت ومكان والتحرز من ان يظفر منه العدو بغرة ، قال تعالىٰ : (يا ايها الذين امنوا خذو حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا) . فالحذر الدائم مطلب ضروري ، مهما اظهر العدو من مسالمة ، والحذر في زمن الحرب آكد ، فقد قيل : " أول العمل في الحرب ورأس التدبير فيها ، ألا يظهر عدوك علىٰ عوراتك ، ولا تستتر عنك عوراته ، ولن تعرفه من عدوك إلا مع التيقظ والتلطف ، وإذكاء العيون والجواسيس " .

فالحذر أقوىٰ المكايد ضد العدو ، لذا وجب علىٰ كل قائد أن يظهر أشد الحذر لعدوه ، فيحجب عنه الأخبار ، ويصون الأسرار ويحصن عوراته ويحترز في كل أمر مهما كانت قيمته ، وأن يحذر من فلتات اللسان ، فقد تجلب له ما يكره ، وألا يستهين بصغير لصغره ، أو بجاهل لجهله ، أو بأعجمي لعجمته ، فقد يستدل بعض كلامهم علىٰ ما ينكشف به سره ولينشر العيون في كل مكان يوجد به العدو ، وليرسل الطلائع أمام جيشه لتأتيه بالأخبار

---

(١) أيسر التفاسير (١ / ٥٦٤).

وألا يحتقر أمر العدو مهما حط من قدره ، ولا يأمن جانبه مهما أظهر من حسن النية ، وليحصن الثغور ويدكها بالمقاتلة والسلاح وألا يسير إلا على تعبئة ، خاصة عندما يقترب من العدو فقد كان " أهل الحزم والتجربة يرون لصاحب الحرب ، أن يكون نزوله وميسره بالتعبئة في الأمن كما يرونه في الخوف ، إلا أن يدع ذلك عن ضرورة ، ويرون ألا يخلو مما تيسر من التعبئة في الأمن على كل حال " . كان شرحبيل بن حسنة القائد الاسلامي لا يبيت ولا يصبح الا على تعبئة ، وكثيرا ما فوجئت الروم بتهيئه وحذره الدائم الذي يفوت عليهم مفاجأة المسلمين . قال عبد الملك بن مروان لأحد قادته موصيا اياه وقد أرسله لحرب الروم . " وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك ").[١]

ويقول اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ :

(والأمم الواعية اليوم تبذل أقصى ما في طاقتها من جهد لكي تمنع اعداءها من مفاجآتها ، فتراها تؤسس استراتيجيتها العسكرية على تدبير وسائل الاستطلاع المتقدمة والحصول على المعلومات والإنذار المبكر وعلى ابقاء جانب من قواتها المسلحة على اقصى درجات الاستعداد للقتال الفوري ..)[٢].

المطلب الثالث : من الحذر مبادرة العدو.

إن مبادرة العدو ومهاجمته قبل أن يتمكن ويستفحل خطره يعتبر من الحذر ومن الحزم، وفي الحكمة : من لم يقدمهُ الحزم أَخّرهُ الْعَجز.

---

(١) إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه ص ٦٢١.

(٢) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ص(٨١).

وفي سراج الملوك للإمام الطرطوشي :

(ومثل العدو مثل النار إن تداركت أولها سهل إطفاؤها، وإن تركت حتى استحكم ضرامها صعب مرامها وتضاعفت بليتها، ومثاله أيضاً مثال الجرح الرديء، إن تداركته سهل برؤه، وإن أغفلته حتى نغل عظمت بليته وأعجز الأطباء برؤه)[١] .

ومن أمثلة الحزم الحالية ما حصل من التحالف الإسلامي بقيادة المملكة في اليمن في هذه الأيام _ ولله الحمد _ لا كما يقول البعض أن الأفضل عدم المبادرة ! .

قال شيخ الإسلام :

(وليس من شريعة الإسلام أن المسلمين ينتظرون عدوَّهم حتى يقدم عليهم، هذا لم يأمر اللهَّ به ولا رسولُه ولا المسلمون، ولكن يجب على المسلمين أن يقصدوهم للجهاد في سبيل اللهَّ، وإن بدأوا هم بالحركة فلا يجوز تمكينُهم حتى يَعبُروا ديارَ المسلمين، بل الواجبُ تقدُّمُ العساكر الإسلامية إلى ثغور المسلمين، فاللهَّ تعالى يختار للمسلمين في جميع الأمور ما فيه صلاح الدنيا والآخرة)[٢] .

وقال ابن حزم :

(الخطأ في الحزم خير من الخطأ في التضييع ، ومن العجائب أن الفضائل مستحسنة ومستثقلة ، والرذائل مستقبحة ومستخفة)[٣] .

وكما قال الشاعر:

وإذا الجبـــان نهـــاك يـــوم كريهـــة | خوفا عليـك مـن ازدحـام الجحفـل

---

(١) سراج الملوك (١ / ١٤٥) .

(٢) جامع المسائل لابن تيمية (٥ / ٣٠٦) .

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس - (١ / ٨١).

فـــاعص مقالتــــه ولا تحفــــل بهـــا وأقــــدم إذا حـــق اللقـــا في الأول

إلى أن يقول :

لا تســـــقني مـــــاء الحيــــاة بذلــــة بـــل فاســـقني بـــالعز كـــأس الحنظـــل

ولا ينبغي الملل واستعجال النصر والنتائج ،والرضى بحلول أقل من النصر ، فالنصر حليف الصابر المصابر.

قال الشيخ ابن باز :

(فمتى صبر المسلمون واتقوا ربهم فإنه لا يضرهم كيد الأعداء ، وإن جرت عليهم المحن ، وإن قتل بعضهم ، وإن جرح بعضهم ، وإن أصابتهم شدة فلا بد أن تكون لهم العاقبة الحميدة بوعد الله الصادق ، وفضله العظيم ، كما قال سبحانه وتعالى : { فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } وقال تعالى : { وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ } وقال تعالى : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } { وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } وقال سبحانه وبحمده : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا } فيجب علينا جميعا رجالا ونساء في هذه البلاد وغيرها ، وعلى جميع المسلمين في كل مكان أن يستقيموا على دينه ، وأن يحافظوا على أوامره وينتهوا عن نواهيه ، وأن يصدقوا في جهاد الأعداء). [1]

وقال ابن عاشور :

(..فأمرهم بالصبر الذي هو جماع الفضائل وخصال الكمال، ثم بالمصابرة وهي الصبر في وجه الصابر، وهذا أشد الصبر ثباتا في النفس وأقربه إلى التزلزل، وذلك أن الصبر في وجه صابر آخر شديد على نفس الصبر لما يلاقيه من مقاومة قرن له في الصبر قد يساويه فإنه لا يجتني من صبره شيئا، لأن نتيجة الصبر تكون لأطول الصابرين صبرا، كما قال زفر

(١)مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ١٠٤) .

بن الحارث في اعتذاره عن الانهزام: سقيناهم كأسا سقونا بمثلها ... ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

فالمصابرة هي سبب نجاح الحرب كما قال شاعر العرب الذي لم يعرف اسمه:

هـــل أنـــت في الهيجـــا مصـــابرة   يصلى بهـا كـل مـن عـاداك نيرانـا[١]

وقال الزحيلي :

(وَصابِرُوا اسبقوا الكفار في الصبر على شدائد الحرب، فلا يكونوا أشد صبرا منكم)[٢].

فالمؤمن ذو نفس طويل، وصبر ومصابرة ومثابرة، لأنه يرجو دائمًا إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، كما أنه ليس لديه خيار آخر ، لأن استيلاء العدو عليه شر عظيم ، فالعدو الكافر والمشرك لا يرحم الموحد أبداً ، وقد شاهد المسلمون ما يفعله هؤلاء الأعداء إذا سيطروا وتم الأمر لهم قال تعالى " كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ".

قال ابن القيم:

(وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وإن من آثر الراحة فاتته الراحة وإن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة فلا فرحة لمن لا هم له ولا لذة لمن لا صبر له ولا نعيم لمن لا شقاء له ولا راحة لمن لا تعب له بل إذا تعب العبد قليلا استراح طويلا وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد وكل ما فيه أهل

---

(١) التحرير والتنوير - (٣/ ٣١٧) .

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٤/ ٢١٣) .

النعيم المقيم فهو صبر ساعة والله المستعان ولا قوة إلا بالله وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلا كان تعب البدن أوفر وحظه من الراحة أقل كما قال المتنبي :

وإذا كانـــت النفـــوس كبـــارا تعبت في مرادها الأجسام[1]

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور :(٢ / ١٥) .



المبحث الثاني: وفيه مطالب

المطلب الأول : لماذا نستعد .

المطلب الثاني : مدى الخطورة في عدم الاستعداد .

المطلب الثالث : لابد أن يشارك الجميع في الاستعداد .

المطلب الرابع : مما يعين على تيسير الاستعداد .

المطلب الخامس : الاستعداد التام سبب للنصر دون قتال .

المطلب الأول: لماذا نستعد؟

أولاً :لأن الله عز وجل أمرنا بالاستعداد فقال تعالى" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهَّ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُّ يَعْلَمُهُمْ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهَّ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ سورة الأنفال (٨): آية٦٠].

ثانيا :لأن الله عز وجل ذم من لم يستعد فقال "{ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُّ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ } [التوبة:٤٦].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق) متفق عليه .

ثالثا: لأن الله أمرنا بمقاتلة الأعداء الذين يقاتلوننا وهذا يحتاج إلى استعداد وقوة . قال تعالى: "وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهَّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَّ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠سورة البقرة) .

رابعا : لأن الله عز وجل بين لنا أن الكفار لن يتركوننا بل ينصبون العداء لنا حتى نرجع عن ديننا، قال تعالى:{ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا} [البقرة:٢١٧]، { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } [البقرة:١٢٠]، { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهَّ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُّ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [التوبة:٣٢]. ((ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم)) [سورة البقرة: ١٠٩].

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله_

(.. وإنهم لا يزالون يقاتلونا حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا. وأخبر أنه متى أطعناهم واتبعنا أهواءهم، كنا من المخلدين في النار، إذا متنا على ذلك، نسأل الله العافية من ذلك، ونعوذ بالله من موجبات غضبه وأسباب انتقامه)(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين :

(ومن فوائد الآية: حرص المشركين على ارتداد المؤمنين بكل وسيلة ولو أدى ذلك إلى القتال؛ لقوله تعالى: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} .. ومنها: الحذر من الكافرين؛ لقوله تعالى: {ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم}؛ وكلمة: {لا يزالون} تفيد الاستمرار، وأنه ليس في وقت دون وقت، وأن محاولتهم ارتداد المسلمين عن دينهم مستمرة)(٢)

خامسا: لأن الله أمرنا بالدفاع عن إخواننا المستضعفين فقال سبحانه :" وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا".

وهذا لا يتأتى إلا بقوة واستعداد لكي نقوم بواجب النصرة لهم ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

سادسا: لأن الابتلاء سنة الله عز وجل قال تعالى { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٣٠٤) .

(٢) تفسير العثيمين:(٣/ ٥٩) .

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ } وقال تعالىٰ : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } وقال سبحانه وتعالىٰ : { الم } { أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } { وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } وقال تعالىٰ : { وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ } وقال تعالىٰ : { وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}

قال الشيخ ابن باز :

(وهذا واقع ، والله يبتلي عباده بالسراء والضراء ، ويبتلي عباده بالأشرار والأخيار ، حتىٰ يتميز الصادق من الكاذب ، وحتىٰ يتميز ولي الله من عدو الله ، وحتىٰ يتميز من يعبد الله ، ويسعىٰ في سلامة دينه ، ويحارب الكفر والنفاق والمعاصي والخرافات ، وبين من هو ضعيف في ذلك أو مخلد إلىٰ الكسل والضعف ، والله يميز الناس بما يبتليهم به من السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، وتسليط الأعداء والجهاد ، حتىٰ يتبين أولياء الله من أعدائه المعاندين لدين الله ، وحتىٰ يتبين أهل القوة في الحق من الضعفاء والخاملين ، وهذا واقع لا شك فيه ، والتوقي لذلك مشروع بحمد الله ، بل واجب)[1] .

سابعا : لأن لنا أعداء حاقدين ولهم تاريخ حافل بالخيانات والمؤامرات ،وفي عقيدتهم وجوب قتلنا وتعذيبنا طلبا للثأر، ولديهم قوة واستعداد وتحالفات .

قال عنهم شيخ الإسلام :

(وليس للإسلام منهم شيء يختص به إلا ما يسر عدو الإسلام ويسوء وليه فأيامهم في الإسلام كلها سود)[2] .

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز - (٨ / ١٥١).

(٢) مختصر منهاج السنة :(١/ ٧٨) .

وقال :

(وأعداء الاسلام من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا ، واستولوا بهم على بلاد الاسلام ، وسبوا الحريم ، وأخذوا الأموال ، وسفكوا الدم الحرام ، وجرى على الأمة بمعاونتهم من فساد الدنيا والدين ما لا يعلمه إلا رب العالمين)[1] .

فقدرنا أن هؤلاء الأعداء وعلى مر التاريخ لا يتركوننا إلا في حالة واحدة ؛ وهي إذا كنا على استعداد تام وقوة كبيرة.

ثامنا : أن لنا أعداء آخرين كثر ، من الكفار الملاحدة والشيوعيين ومن اليهود والنصارى ، ومن المشركين ومن المنافقين الذين يدعون الإسلام وكل هؤلاء يتميزون علينا غيظا ، وهناك بوادر لتحالفهم مع العدو القريب.

فسنة الحياة أن المجرمين باقون ما بقيت الحياة ، وأن الصراع مستمر بين الخير الشر ، والحق والباطل ، وأن أهل الباطل يحسدون أهل الحق على نعمة الإسلام والفضيلة والستر والرخاء وأن الحروب بين الحق والباطل ما إن تهدأ حتى تبدأ ثانية.

وقد بين الله عز وجل مدى بغض هذه الفئات للمسلمين وما تكنه نفوسهم من حقد وعداء وتربص ، والمؤمن مصدق لقول ربه آخذ بها أمره ..

قال تعالى : ((إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون)) [سورة الممتحنة: ٢].

وقال :{وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ{ [سورة آل عمران: ١١٩] .

---

(١)مختصر منهاج السنة:(١/ ٩) .

وقال :"وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ "وقال : ((قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)).وقال :"كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ"

قال ابن كثير:

(يقول تعالى محرضا للمؤمنين على معاداة المشركين والتبري منهم، ومبينا أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله وكفرهم برسول الله ولو أنهم إذ ظهروا على المسلمين وأدِيلوا عليهم، لم يبقوا ولم يذروا، ولا راقبوا فيهم إلا ولا ذمة.)(١)

وقال الشيخ السعدي :

{ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ } بالقدرة والسلطة، لا يرحموكم، و { لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا وَلا ذِمَّةً } أي: لا ذمة ولا قرابة، ولا يخافون اللهّ فيكم، بل يسومونكم سوء العذاب، فهذه حالكم معهم لو ظهروا.

ولا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم { يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ } الميل والمحبة لكم، بل هم الأعداء حقا، المبغضون لكم صدقا، { وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ } لا ديانة لهم ولا مروءة.)(٢)

وقال الشيخ عبدالرزاق عفيفي :

(إن العداوة التي بين المؤمن والكافرين عداوة قديمة مستأصلة وان الخصومة التي بين الفريقين خصومة مستحكمة وان قلوب الكافرين لم تزل ولا تزال تتوهج فيها جمرات

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١١٥).

(٢) تفسير السعدي - (١ / ٣٢٩).

الغيظ وتشتعل فيها نيران الضغائن والأحقاد لا يكاد يخبو لهيبها او تخمد جمرتها بل لا تزال تزداد يوما بعد يوم وتتخذ ألوانا مختلفة من الكيد والتبييت وأشكال من الحروب النارية خفية وجهرة سرا وعلانية وما خفى منها اشد ضراوة واعظم فتكا بالمسلمين مما ظهر ولذا حذرنا الله من موالاتهم واتخاذ بطانه منهم)[١]

المطلب الثاني: خطر الغفلة عن خطر الأعداء والاستهانة بهم .

من أعظم الأخطاء والأخطار الاستهانة بالعدو والتعامل مع احتمالات السلامة منه كأنها حقائق ثابتة ، فهذا يؤدي إلى عدم الاستعداد التام أو تأخيره عن وقته وما أصدق المثل القائل : " إذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له" فكيف إذا كان العدو ليس نملة وإنما أفعى تساعدها أفاعٍ كثيرة أخرى وهو على استعداد وتربص ومكر .

وفي الغرب يقولون : اعمل على أسوأ (السيناريوهات) بمعنى أقصى ما يمكن تصوره أن يحدث وعلى أسوأ الاحتمالات .

بل إن المنطق يحتم على القوي أن يحذر من الغرور بقوته والاعتماد عليها وأن لا يستهين بعدوه كما جاء في كتاب سراج الملوك :

(من اغتر بقوته فقد وهن، ليس من القوة التورط في القوة. لكن أشد ما كنت أحذر ؛ ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعدداً، من استضعف عدوه اغتر، ومن اغتر ظفر به عدوه)[٢].

---

(١) فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي :(١ / ١٨٠).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب (٦/ ١٤٤).

في الرسائل في الأدب :

(وقالت الحكماء : لا تستصغرن أمر عدوك إذا حاربته ، لأنك إن ظفرت به لم تحمد وإن ظفر بك لم تعذر ؛ والضعيف المحترس من العدو القوي، أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالضعيف) (١).

(واعلم أن المقادير ربما جرت بخلاف ما تقدِّر الحكماء، فنال بها الجاهل في نفسه، المختلط في تدبيره، ما لا ينال الحازم الأريب الحذر. فلا يدعونك ما ترى من ذلك إلى التضييع والاتكال على مثل تلك الحال؛ فإن الحكماء قد أجمعت أن من أخذ بالحزم وقدم الحذر، فجاءت المقادير بخلاف ما قدر، كان عندهم أحمد رأياً وأوجب عذراً، ممن عمل بالتفريط وإن اتفقت له الأمور على ما أراد، ولعمري ما يكاد ذلك يجيء إلا في أقل الأمور، وما كثر مجيءُ السلامات إلا لمن أتى الأمور من وجوهها وإنما الأشياء بعوامها، وقد قال بعض الحكماء : من أعرض عن الحذر والاحتراس ، وبنى أمره على غير أساس ، زال عنه العز واستولى عليه العجز ؛ وإن قدم لطوارقه حذر المتيقظ ، وتلقاها بعدة المتحفظ ، رد بادرتها بعزم ذي حزم قد حلب أشطر دهره ، وقام بواضح عذره .

قال بعض الشعراء :

إن للـــدهر صـــولةً فاحـــذرنها ... لا تبيـــتنّ قـــد أمنـــت الـــدهورا

ثم هو بعد حذره مستسلمٌ لقضاءٍ لا يرد ، وقدرٍ لا يصد) (٢).

---

(١) الرسائل (ص: ٢٨).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب (٦/ ٩٨).

وقال الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود :

(ثم إن من الحزم وفعل أولي العزم كون الرجل العاقل المفكر يقدر وقوع ما عسى أن لا يقع ، ثم إن يمثل حاله فيه عند فرض وقوعه ، وما عسى أن يصنع من الحول والقوة في سبيل دفعه عن أهله ووطنه ؟ إذ الحوادث تفاجئ الناس وهم في غفلة ساهون)[١].

وفي كتاب التراتيب الإدارية للكتاني لما ذكر غزوة الخندق وبين أن حفر الخندق كان بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه وأنه من مكايد الفرس وأعمالهم في الحروب قال :

(..وفي ذلك أعظم دلالة على أن الممالك والدول التي لا تنسج على منوال مجاوريها فيما يتخذونه من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية والنظامات العلمية والعملية الصناعية والزراعية يوشك أن تكون غنيمة لهم ولو بعد حين فحال نبينا الكريم كان يقضي بأخذه بالأحسن والأنفع في كل باب سواء كان قومه يعلمونه ويعملون عليه أم لا ولذلك ثبت أنه قال لعاصم بن ثابت من قاتل فليقاتل كما يقاتل

وقال الحافظ ابن تيمية في رسالة عموم بعثته صلى الله عليه وسلم ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتال الترك وأن أمته ستقاتلهم ومعلوم أن قتالهم النافع إنما هو بالقسي الفارسية ولاكن قوتلوا بالقسي العربية التي تشبه قوس القطر لم تغن شيئا بل استطالوا على المسلمين بقوة رميهم فلا بد من قتالهم بما يقهرهم وقد قال بعض المسلمين لعمر بن الخطاب إن العدو إذا رأيناهم لبسوا الحرير وجدنا في قلوبنا روعة فقال وأنتم فالبسوا كما لبسوا وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه في عمرة القضاء بالرمل والاضطباع

---

(١) مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ، رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر (٣/ ٤٢١).

ليرى المشركون قوتهم وإن لم يكن هذا مشروعا قبل هذا ففعل لأجل الجهاد ما لم يكن مشروعا هـ.

ويوضح هذا ما تضمنته وصية الصديق لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال المرتدين فقال يا خالد عليك بتقوى الله والرفق بمن معك إلى أن قال ثم إذا لاقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك به السهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف قال في أقوم المسالك ولو أدرك هذا الزمان لا بدل ذلك بذكر المدفع والمكحلة والسفينة المدرعة ونحو ذلك من المخترعات)[1].

وقال شيخ الإسلام:

(فإذا ترك العباد الذي أمروا به، واشتغلوا عنه بما يصدهم عنه؛ من عمارة الدنيا هلكوا في دنياهم بالذل وقهر العدو لهم، واستيلائه على نفوسهم وذراريهم وأموالهم، ورده لهم عن دينهم، وعجزهم حينئذ عن العمل بالدين، بل وعن عمارة الدنيا وفتور هممهم عن الدين، بل وفساد عقائدهم فيه. قال تعالى: {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة: من الآية٢١٧) .إلى غير ذلك من المفاسد الموجودة في كل أمة لا تقاتل عدوها سواء كانت مسلمة أو كافرة. فإن كل أمة لا تقاتل فإنها تهلك هلاكا عظيما باستيلاء العدو عليها وتسلطه على النفوس والأموال . وترك الجهاد يوجب الهلاك في الدنيا كما يشهده الناس وأما في الآخرة فلهم عذاب النار)[2].

---

(١) التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية) (١/ ٣٧٦).

(٢) قاعدة في الانغماس في العدو وهل يباح (ص: ٦٤).

وقال أيضا:

(فمن ترك الجهاد عذبه الله عذابا أليما بالذل وغيره، ونزع الأمر منه فأعطاه لغيره، فإن هذا الدين لمن ذب عنه، وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : "عليكم بالجهاد، فإنه باب من أبواب الجنة ، يذهب الله به عن النفوس الهم والغم" . وقال - صلى الله عليه وسلم -: "لن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة وقتال ، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا"، ومتى جاهدت الأمة عدوها ألف الله بين قلوبها، وإن تركت الجهاد شغل بعضها ببعض)[1].

وقال السعدي :

(..قال صلى الله عليه وسلم : « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا يرفعه حتى تراجعوا دينكم » ، أخبر صلى الله عليه وسلم أن الناس إذا اشتغلوا بالدنيا وانكبوا على أسبابها ، وأهملوا الاستعداد للجهاد ، وأخذ الحذر من عدوهم- وقع في قلوبهم الجبن والوهن والضعف ، وسلطت عليهم الأعداء . لقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم . فعلى المسلمين أن يتوبوا إلى ربهم ، ويستدركوا أمرهم ، ويستعدوا لعدوهم بكل ما استطاعوا من قوة مادية وقوة معنوية . ومن أهم الأمور في هذه الأوقات تعلم النظم الحربية والفنون العسكرية ، التي تهيئ للمسلمين جيشا مخلصا منظما مدربا تتم به حماية الدين ، ويوقف المعتدين عند حدهم ، ويرهب الكافرين ، ولا يكونون عالة على غيرهم ، عزلا من السلاح والتعاليم النافعة

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ٢٩٩و٣٠٠).

والاجتهاد ، فإنه لا تحصل القوة إلا بتنظيم الجيوش وتدريبها على الشجاعة وفنون الحرب والجهاد ، ومقاومة الأعداء لحماية الدين والبلاد)[١] .

وقال الشيخ عبدالله البسام _ رحمه الله _:

(الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وعموده، الذي لا يقوم إلا به، وبه تعلو كلمة اللهَ وينشر دينه. وبتركه -والعياذ بالله- هدم الإسلام، وانحطاط أهله، وذهاب عزهم، وسلب ملكهم، وزوال سلطانهم ودولتهم .وهو الفرض الأكيد على كل مسلم، فإن من لم يغْزُ، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق)[٢] .

وفى زهرة التفاسير :

(بين الله سبحانه وتعالى أن الجهاد سبيل لحياة الأمم، والقعود عن الدفاع سبيل لفنائها، وبذهاب دولتها، وتقطع وحدتها، وفقد لكيانها المجتمع، وأمرها المؤتلف، وأنه لا سبيل لأن تعيد الجماعة قوتها، ودولتها إلا بالجهاد والاستعداد له، ففي الاستعداد للجهاد الحياة، وبالجهاد ترد الحياة، والجهاد في أدق معناه هو تعرض النفس للتلف ليبقى المجموع، فهو إيثار بالنفس، وبذل للمهج والأرواح، وتقدم للبأس من القادرين، بيد أن الجهاد لابد له من عدة وعتاد، وشِكَّة وسلاح؛ ولابد له من أن تكون الكلمة موحدة، والقوى مجتمعة بالتعاون بين الغني والفقير)[٣] .

---

(١) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية :(ص: ٢٩٨).

(٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (ص: ٨٤).

(٣) زهرة التفاسير (٢/ ٨٦٨).

وقال الشيخ ابن عاشور فى تفسيره :

(فالتفريط في الاستعداد للجهاد حرام لا محالة لأنه إلقاء باليد إلى التهلكة، وإلقاء بالأمة والدين إليها بإتلاف نفوس المسلمين)[١] .

وقال المراغي في تفسيره :

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) أي إن المؤمنين ما داموا مستمسكين بدينهم متبعين لأمره ونهيه قائمين بعمل ما يستدعيه الدفاع عن بيضة الدين من أخذ الأهبة وإعداد العدّة لن يغلبهم الكافرون، ولن يكون لهم عليهم سلطان، وما غلب المسلمون على أمرهم إلا بتركهم هدى كتابهم وتركهم أوامر دينهم وراءهم ظهريًا، فذلوا بعد عزة، وأجلب الكفار عليهم بخيلهم ورجلهم ودخلوا عليهم فى عقر دارهم، وامتلكوا بلادهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد ..)[٢] .

ويقول اللواء محمد جمال محفوظ: (إن الإسلام يفتح عيون المسلمين على الخطر المحدق بهم من اعدائهم المتربصين الذين ينتظرون لحظة الغفلة منهم :" ود الذين كفروا " الآية .. كما يجسد عواقب تلك الغفلة ، والأضرار البالغة التي يعرض لها المسلمون من جرائها :" فيميلون عليكم ميلة واحدة")[٣] .

ومهما قيل في خطر التقصير في الاستعداد لا يمكن أن نوفيه حقه لأنه مسألة حياة أو موت ، ولأن فيه عزة وعدمه ذل وإهانة ، ولأن وجوده حماية لدماء المسلمين وأعراضهم وذراريهم .

---

(١) التحرير والتنوير (٢ / ٢١١).

(٢) تفسير المراغي (٥/ ١٨٥).

(٣) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ص(٨٣) .

لأن في وجوده حمايه لدينهم وأمنهم واستقلالهم ومستقبل أبنائهم ، وفي التقصير فيه تعريض لكل ذلك للضياع والدمار والزوال .

ويكفي ما نشاهده عبر القنوات وما حصل لإخواننا في الدين من مصائب على أيدي الكفار المجرمين والمشركين الحاقدين المدججين بالسلاح ، لوكان إخواننا يملكون القوة الرادعة ولو استعدوا الاستعداد التام وتصافوا على عقيدة واحدة وقلب واحد ما استطاع الاعداء أن يجوسوا خلال الديار ويعيثوا ذاك الفساد .

لِنَتفكر فيما حصل لإخواننا في بورما وفي العراق وأفغانستان وسوريا والصومال وقبل ذلك في البوسنة والهرسك وفي الشيشان وفي فلسطين وغزة ..

لقد فعل فيهم المجرمون الأفاعيل ؛ عذبوا في السجون وقتلوا ونهبوا وهتكوا ورموهم بكل الأسلحة حتى المنوعة ، وصبوا الغازات السامة على رؤوس أطفالهم ، واستمروا على ذلك فترة طويلة والجميع يشاهد والدول تراقب والأمم المتحضرة والمتقدمة صاحبة حقوق الحيوان ! تجتمع والنتيجة زيادة في التنكيل والقتل والدمار..

فلا بد للمسلمين أن تكون لهم قوة هائلة وأسلحة فتاكة وأعداد من الجنود كثيرة ليرهبوا هؤلاء . وإلا فسوف يكررون فعلتهم في منطقة أخرى وبلد ثان وثالث ..

وقبل هذا ما فعله المستعمرين في شعوب المسلمين الضعيفة ، لقد قتل الفرنسيون مليون جزائري من أصل أحد عشر مليونا ، أي عشرة بالمئة من الشعب والبقية ساموهم سوء العذاب ، وقتل الاستعمار الإيطالي ست مئة ألف في ليبيا من أصل مليونين ونصف هو مجموع الشعب الليبي آنذاك ، يعني ربع السكان تقريباً ، وهكذا فعلوا في بقية العالم الإسلامي قتل وجراح وتعذيب وفقر وتشريد ..

فلا مجال للتواني ولا مجال للتأخير أو التقاعس ، بل ولا مجال لنصف استعداد ونصف اهتمام ونصف حذر.. بل لا بد أن نستعد بكل طاقاتنا وإمكانياتنا .

المطلب الثالث : لابد أن يشارك الجميع في الاستعداد .

وضح أصحاب الشأن العسكري بأن الإعداد والاستعداد لا يمكن أن يتم بشكل جيد إلا إذا شارك الجميع فيه وهيئوا أنفسهم لمرحلته ، كما أن مشاركتهم تتم بالتشجيع والحث عليه ، وإيجاد جو عام يساعد على الوصول إلى النتائج المرجوة بأسرع وقت ممكن ، وهذا يتطلب معرفتهم بحاجة المرحلة التي يمرون بها .

والمساهمة تكون أيضا بترك التبذير والإسراف والمساهمة مع الدولة في الإنفاق عليه ولو بالرضى عن الإجراءات الاقتصادية الضرورية له وعدم التبرم منها ،بل نحمد الله أن دول الخليج تعمل جاهدة في الاستعداد وشراء الأسلحة .

فالاستعداد منظومة متكاملة ، تبدأ من المواطن والأسرة وتنتهي برئيس الدولة ، فلا بد أن يساهم الجميع فيه كل بحسبه وفي نطاقه و قدراته ، وأن لا يُقصر أحد في مجاله حتى يؤتي الاستعداد ثمرته الناضجة .

قال شيخ الإسلام :

(.. ولهذا قال الفقهاء : إنه يجب عينا إذا أمر به الإمام وكذلك إذا احتاج المجاهدون إلى أهل الصناعات والتجارات كصناع الطعام واللباس والسلاح ومصالح الخيل وغير ذلك وطلبت منهم تلك الصناعة بعوضها وجب بذلها وأجبروا عليها . وكذلك التجار فيما يحتاج إليه في الجهاد : عليهم بيع ذلك وإذا احتاج العسكر إلى خروج قوم تجار فيه لبيع ما

لا يمكن العسكر حمله من طعام ولباس وسلاح ونحو ذلك . فالتجارة كالصناعة . والعسكر بمنزلة قوم في بلد فكما يجب على بعض إعانة بعض على حاجاتهم بالمعاوضة التي لا ضرر فيها فإن ذلك واجب في العسكر..)[١]

وقال الشيخ ابن باز :

(..وهو يكون بالنفس ، ويكون بالمال ، ويكون باللسان ، ويكون بأنواع التسهيل الذي يعين المجاهدين على قتال عدوهم ، فالدعوة إلى الله والإرشاد إليه والتشجيع على الجهاد والتحذير من التخلف والجبن كل هذا من الجهاد باللسان ، ونصيحة المجاهدين وبيان ما أعد الله لهم من الخير والعاقبة الحميدة كله من الجهاد باللسان ، والإنفاق في سبيل الله في مصالح الجهاد وفي حاجة المجاهدين وتجهيزهم وإعطائهم السلاح والآلة المركوبة من طائرة ومن سيارة ومن غير ذلك كل ذلك من الجهاد في سبيل الله بالمال .حاجة المجاهدين وتجهيزهم وإعطائهم السلاح والآلة المركوبة من طائرة ومن سيارة ومن غير ذلك كل ذلك من الجهاد في سبيل الله بالمال)[٢].

ويقول الشيخ العنقري :

(ومصلحة الجهاد، وتسكين الفتنة عن المسلمين مصلحة عظيمة، فلو خرج المسلمون من نصف أموالهم، وأتم الله مقصودهم، وكفاهم عدوهم لكان ذلك قليلا في تحصيل هذه المصلحة، فكيف وفي الجهاد سعادة الدارين لمن خلصت نيته، وكان قصده وجه الله والدار الآخرة؟)[٣].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٩/ ١٩٥).

(٢) وفي مجموع فتاوىٰ ابن باز :(٧ / ٣٣٨) :

(٣) الدرر السنية في الكتب النجدية :(١٢ / ٥٩) .

ومما يوضح أهمية مشاركة الجميع في الاستعداد للجهاد ، أن الجهاد نفسه مخاطب به الجميع.

قال شيخ الإسلام _ رحمه الله _ :

(والجهاد - وإن كان فرضا على الكفاية - فجميع المؤمنين يخاطبون به ابتداء فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه والعزم على فعله إذا تعين ؛ ولهذا {قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق} رواه مسلم. فأخبر أنه من لم يهم به ؛ كان على شعبة نفاق. " وأيضا " فالجهاد جنس تحته أنواع متعددة ولا بد أن يجب على المؤمن نوع من أنواعه)(١).

وقال _ رحمه الله _ :

(والجهاد منه ما هو باليد ومنه ما هو بالقلب والدعوة والحجة واللسان والرأي والتدبير والصناعة فيجب بغاية ما يمكنه ويجب على القعدة لعذر أن يخلفوا الغزاة في أهليهم ومالهم)(٢).

وقال _ رحمه الله _ :

(وذلك أن الجهاد فرض على الكفاية ، فيخاطب به جميع المؤمنين عموما، ثم إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين . ولا بد لكل مؤمن من أن يعتقد أنه مأمور به، وأن يعتقد وجوبه وأن يعزم عليه إذا احتيج إليه، وهذا يتضمن تحديث نفسه بفعله فمن مات ولم يغزو

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦) .

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٥٣٨) .

أو لم يحدث نفسه بالغزو نقص من إيمانه الواجب عليه بقدر ذلك؛ فمات على شعبة نفاق)[١] .

وقال ابن القيم _ رحمه الله _ :

(والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب ، وإما باللسان ، وإما بالمال ، وإما باليد فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع ..)[٢]

كما أن من أهم الاستعدادات الاستعداد المعنوي، وهو يتطلب من المواطنين التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ويحتاج إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كي لا تغرق السفينة بنا جميعا .

وهذا النوع من الاستعداد للمواطنين القدرة في المساهمة به من خلال النصح والإرشاد وتوسيع دائرة الخير وتقليل مساحة الشر ، بحيث يصبح السائد في المجتمع هو الخير والمعروف وينقمع أهل الشر والفساد ..

ففي الحديث المتفق عليه من حديث زينب رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال "نعم إذا كثر الخبث ".

قال الشيخ ابن عثيمين :

(إذا كثر الخبث في أعمالنا فنحن عرضة للهلاك، إذا كثر البشر النجس في بلادنا فنحن عرضة للهلاك والواقع شاهد بهذا نسأل الله أن يحمي بلادنا من أعدائنا الظاهرين والباطنين وأن يكبت المنافقين والكفار ويجعل كيدهم في نحورهم إنه جواد كريم)[٣] .

---

(١) مسألة في المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى (ص: ٥٤) .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦٤) .

(٣) شرح رياض الصالحين - (١ / ٤٩) .

المطلب الرابع مما يعين على تيسير الاستعداد :

والاستعداد في كثير من الأحيان فيه مشقة وتعب ، وبالتالي قد يسأم من يستعد ويكسل ، فهو يحتاج الى صبر كي يستمر ولا يتوقف.

قال ابن القيم :

(هذه ثلاثة أشياء تبعث المتلبس بها على الصبر في البلاء:

إحداها: ملاحظة حسن الجزاء. وعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخفف حمل البلاء، لشهود العوض، وهذا كما يخف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها، لما يلاحظه من لذة عاقبتها وظفره بها. ولولا ذلك لتعطلت مصالح الدنيا والآخرة. وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة، فالنفس مولعة بحب العاجل. وإنما خاصة العقل: تلمح العواقب، ومطالعة الغايات.

وأجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم. وأن من رافق الراحة فارق الراحة. وحصل على المشقة وقت الراحة في دار الراحة، فإن قدر التعب تكون الراحة[1].

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكريم الكرائم

ويكبر في عين الصغير صغيرها وتصغر في عين العظيم العظائم

وقال الشيخ ابن باز :

(ولابد من صبر في الرباط في الثغور ، ولابد من صبر في إعداد المستطاع من الزاد والبدن القوي المدرب ، كما أنه لابد من الصبر في إعداد الأسلحة المستطاعة التي تماثل سلاح العدو أو تفوقه حسب الإمكان)[2].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٦٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز - (٢ / ٢٨٧).

في التفسير الواضح :

(والإعداد والتكوين أمر شاق على النفوس عسير على الناس إلا المؤمنين بالله المتوكلين عليه أصحاب النفوس العزيزة والهمم العالية) .

كما أن في الاستعداد التام الصحيح ؛ بذلاً للأموال، وزيادة في جانب التسليح والنفقات العسكرية ، مما قد يضعف الاقتصاد وتتغير الأحوال من الرفاهية الواسعة إلى نوع من الشدة والنقص .

ولكن من فكر في خطر التساهل مع الأعداء وخطر عدم الاستعداد ، وما يترتب على هذا التساهل لو هجم العدو الحاقد لا قدر الله هانت عليه التضحية في كل ذلك بل تمنى لو عاش سنوات طويلة على نصف رغيف وشربة ماء.

وفي تهذيب الرياسة وترتيب السياسة :

(وقال بعضهم أذكر حسرات التفريط يلذ لك الحزم ، ومن الحزم ألا يحتقر عدوه وإن كان حقيرا ولا يستصغره وإن كان صغيرا فإن ذلك عنوان الخذلان وفيه ترك للحزم وتوهين للعزم)[1].

فعلى المسلم أن يصبر ويحتسب الأجر ، بل عليه أن يفرح لهذا الاستعداد التام ويشجع عليه ،ويصبح جزءاً منه لا ضده ، حتى إن احتاجت الدولة إلى بذل للأموال من المواطنين القادرين فإنه يجب عليهم البذل بنفس طيبة .

---

(١) تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة (ص: ١٤٧).

المطلب الخامس : الاستعداد التام سبب للنصر دون قتال:

من بركة الاستعداد التام والرغبة في الجهاد أنه قد يكون سببا للنصر على الأعداء دون قتال لأنه يمنع الأعداء من التفكير في الاعتداء ، ويلقي في قلوبهم الرعب والخوف .

قال شيخ الإسلام :

وكان الله سبحانه وتعالى لما ألقى في قلوب المؤمنين ما ألقى من الاهتمام والعزم ألقى الله في قلوب عدوهم الروع والانصراف) [(١)].

وقال :

(فكان من المقدر : أنه إذا عزم الأمر وصدق المؤمنون الله يلقي في قلوب عدوهم الرعب فيهربون)[(٢)].

وقال أيضا :

(واجتمعت بالسلطان وأمراء المسلمين وألقى الله في قلوبهم من الاهتمام بالجهاد ما ألقاه . فلما ثبت الله قلوب المسلمين صرف العدو جزاء منه وبيانا أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وإن لم يقع الفعل وإن تباعدت الديار)[(٣)].

وتجد أن الدول الصغيرة الحازمة تسعى إلى امتلاك ما يسمى بالقوة الرادعة ،لأن المجتمع الدولي لا يهتم بالضعفاء حتى لو كانوا أصحاب حق، ولا يقيم لهم وزناً ولا يلتفت إلى أنينهم وعذاباتهم _وإن ادعى ذلك _ لاسيما إن كان هؤلاء الضعفاء من المسلمين كما هو مشاهد ، ولهذا نجد الحروب في العصر الحاضر قد قلت لدرجة كبيرة بين

---

(١) مجموع الفتاوى :(٢٨/ ٤٤٥).

(٢) المرجع السابق:(٢٨/ ٤٦٥).

(٣) المرجع السابق:(٢٨/ ٤٦٣).

الدول ، لأن أغلبها على استعداد تام وقد دربت شبابها على القتال بما يعرف بالتجنيد الالزامي فلم تعد الدول والشعوب كما كانت ضعيفة ومتخلفة عسكريا ،ونجد أن الحروب الأخيرة أغلبها على الدول الإسلامية الضعيفة والتي لم تكن على استعداد تام.

إن منطق الأقوياء الظلمة كما جاء في كتاب معاصر: (إذا لم تكونوا مستعدين للحرب فنحن سوف نهاجمكم !) وقال آخر :(أن الدول العظمى على قوتها فإنها لا تهاجم إلا الضعفاء) وقال غيره: (إن أنين الضعفاء يغري الطغاة بالمزيد لا أن يكف بطشهم).

فلأجل منع وقوع الحرب (تحتفظ الدولة القوية في بعض الأحيان بقوات في مناطق الاضطرابات السياسية، أو في المناطق المهددة بهجوم محتمل، مما يمثل عرضًا للقوة يساعد في الحيلولة دون وقوع الحرب.)[١]

قال الدكتور خلف الجراد : (أنَّ أمننا القومي لا يتحقق إلاّ عن طريق امتلاك القوة الذاتية الرادعة، أو الردع المتبادل وبالتالي، فإنّ محاولات نزع الأسلحة شديدة التدمير وتطبيق نظام الضمانات الدولية هي محاولات خيّرة يجب تشجيعها. ولكنّها لا تغني أبداً عن امتلاك القوة الرادعة. وعلينا أن نسير في الغابة العالمية بقدمين: قدم تساعد على نزع السلاح شديد التدمير؛ بما في ذلك الأسلحة النووية، شرط أن تكون هناك مساواة في التعامل معها في ظلّ نظام تفتيشي فعّال، وتطبيق الضمانات التي تضعها الوكالة الدولية للطاقة الذريّة على كامل دورة الوقود من المنجم حتى تضيُّع المواد النووية. والقدم الأخرى هي امتلاك الرادع القادر على توقيع العقاب)[٢] .

---

(١) الموسوعة العربية العالمية .

(٢) الأبعاد الفكرية والعلمية للصراع العربي الصهيوني (ص: ١٥١) .

وقال الشيخ ابن عاشور :

(والإرهاب جعل الغير راهبا، أي خائفا، فإن العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه، ولم يجرأ عليه، فكان ذلك هناء للمسلمين وأمنا من أن يغزوهم أعداؤهم، فيكون الغزو بأيديهم: يغزون الأعداء متى أرادوا، وكان الحال أوفق لهم، وأيضا ذا رهبوهم تجنبوا إعانة الأعداء عليهم)[١].

وفي مفاتيح الغيب للرازي :

(ثم إنه تعالى ذكر ما لأجله أمر بإعداد هذه الأشياء. فقال : تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم ، وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة : أولها : أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام . وثانيها : أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية. وثالثها : أنه ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان. ورابعها : أنهم لا يعينون سائر الكفار. وخامسها : أن يصير ذلك سبباً لمزيد الزينة في دار الإسلام)[٢].

قال المراغي في التفسير :

(وفي الخلاصة- إن تكثير آلات الجهاد وأدواتها كما يرهب الأعداء الذين نعلم أنهم أعداء- يرهب الأعداء الذين لا نعلم أنهم أعداء، فالاستعداد للحرب يرهبهم جميعا ويمنعهم من الإقدام على القتال، وهذا ما يسمى في العصر الحديث (السلام المسلح))[٣].

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١٤٦) .

(٢) مفاتيح الغيب (١٥/ ٤٩٩).

(٣)تفسير المراغي (١٠/ ٢٦) .

وفي التفسير الواضح : (ولا يمكن أن تقوم أمة بهذا الإعداد الكامل ثم تظلم من جيرانها أبدا)[١].

وقال الشيخ ابن باز :

(ومن ذلك أيضا أن يوجد في بلاد المسلمين من الصناعة والإعداد والقوة ما يستطيع كل فرد بكل وسيلة ، حتىٰ لا تكون حاجاته عند عدوه ، وحتىٰ يعلم عدوه ما لديه من الإعداد والاستعداد فيرهبه وينصفه ويعطيه حقوقه ويقف عند حده ، وحتىٰ يحصل إعداد الأبدان وعدم الرفاهية التي تضعف القوىٰ والقلوب عن مقاتلة العدو وحتىٰ تقوىٰ علىٰ الجهاد) [٢].

وقال :

(فالجهل أضراره عظيمة وعواقبه وخيمة ومن ذلك ما بينه النبي صلىٰ الله عليه وسلم من ذل المسلمين أمام عدوهم ووصفهم بأنهم غثاء كغثاء السيل ، وأن أسباب ذلك نزع المهابة من قلوب أعدائهم منهم ؛ أي : أن أعداءهم لا يهابونهم ولا يقدرونهم لما عرفوا من جهلهم وتكالبهم علىٰ الدنيا والركون إليها .

فالعدو إنما يعظم القوة والنشاط والهمة العالية والتضحية العظيمة في سبيل مبدئه . فإذا رأىٰ العدو أن هذا الخصم المقابل له ليس له هذه الهمة ، وإنما هو يهتم لشهواته وحظه العاجل أعطاه من ذلك حتىٰ يوهن قوته أمامه ويصرفه عن التفكير في قتاله لانشغاله بحب الدنيا والانكباب علىٰ الشهوات .

---

(١) (١ / ٨٤١).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن باز - (٥ / ١٠٥).

فالوهن أصاب القلوب إلا ما شاء الله ، واستحكم عليها إلا من رحم ربك ، وما أقلهم ، فهم في الغالب قد ضعفوا أمام عدوهم ونزعت المهابة من قلوب أعدائهم منهم وصار أعداؤهم لا يهتمون بهم ولا يبالون بهم ولا ينصفونهم ؛ لأنهم عرفوا حالهم وعرفوا أنهم لا قوة ولا غيرة عندهم ولا صبر لهم على القتال ولا قوة أيضا تعينهم على القتال ولم يعدوا لهذا المقام عدته ، فلذلك احتقرهم العدو ولم يبال بشأنهم وعاملهم معاملة السيد للمسود والرئيس للمرءوس وهم سادرون في حب الدنيا والبعد عن أسباب الموت إلا من رحم ربك حريصون على تحصيل الشهوات المطلوبة بكل وسيلة ، حذرون من الموت حريصون على العلاج والدواء عن كل صغيرة وكبيرة من الأدواء خوف الموت) [١].

فالاستعداد التام غالبا ما يمنع الحرب ويمنع طمع الأعداء .

قال الشيخ صالح بن حميد:

(أيها المسلمون: إن الاستعداد بالقوة، يمنع الحرب من أن يتقد نارها، ويجعل الأمة المستعدة في منعة من أن تهضم حقوقها، إعداداً واستعداداً من أجل اتقاء بأس العدو وهجومه، ولقد جاء هذا الغرض جلياً واضحاً في قول الله عز وجل: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ } [الأنفال:٦٠].

إنه استعداد ليكون سبباً في منع الحرب قبل أن يكون استعداداً عند نشوبها وإشعالها.

نعم : إنه السلام المسلح، ذلكم أن الضعف يغري الأقوى بالتعدي على الضعفاء، إن القوي المستعد للمقاومة قلما يعتدى عليه، وإن اعتدي عليه قلما يظفر به عدوه أو ينال منه، إن ترك الاستعداد يغري بالعدوان ويسرع بالاستسلام.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز :(٥ / ١٠٧) .

وإن أخطر ما تتعرض له الأمة هو الغفلة عن الخطر المحدق بها، والتقاعس عن إعداد القوة القادرة على الدفاع، إن على الأمة الأبية أن تعد ذلك مسألة حياة أو موت، اقرءوا قول ربكم في محكم كتابه: { وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً }.

ومن دقائق تعاليم ديننا وآدابه وشريف غاياته: أن العدو إذا عدل عن العدوان، وأرهبه السلام المسلح كان التوجه حينئذٍ نحو السلم والحرص عليه وقبوله: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } [الأنفال:٦١].

وإن أبى العدو إلا الحرب والقوة! فالقوة لا تدفع إلا بالقوة، والعدوان لا يرد إلا بمثله: { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا } [البقرة:١٩٠] ففي آداب القتال عندنا لا يقاتل غير المقاتل، ولا يحاسب إلا المعتدي.

عباد الله: إنما تسقط الأمم في هاوية الذلة إذا صغرت همة رجالها، فلا يحسون بظلم، ولا يأنفون لعزة، ولا يثأرون لكرامة، يساقون بذلتهم ومهانتهم إلى جهل ونفرة وشقاق، العاجز لا يرجى لدفع مُلمة ولا يؤمل في النهوض بهمة، كما أنه ليس من العقل ولا من الحكمة الوقوف مع الهزائم، واستعادة الأحزان والتعثر في عقباتها، وتبادل كلمات اللوم وآهات التحسر: (ليت، ولو أن) فما كان ذلك من أخلاق الأقوياء، ولا من مسالك ذوي العزة والأنفة، وأباة الضيم)(١).

وقال الدكتور علي الطيار: (والحذر يشمل إعداد النفوس وتهيئتها ماديا ومعنويا ؛ لتهب في أي لحظة للمقاومة والقتال ، ولتسعى إليه بكل قوة ونشاط ، للوقوف في وجه العدو وردعه . فهذا التحذير والأمر بأخذ الحيطة وبالإعداد للحرب التي يحشد لها

---

(١) خطب ورسائل للشيخ صالح بن حميد (٣٤/ ٧، المكتبة الشاملة).

المسلمون الرجال والعتاد ، فإن واقع الأمر أنها أمور وقائية ، يدفع بها المسلمون _ من غير قتال _ مطامع الطامعين وعدوان الباغين ؛ لأن من رأى قوتهم تلك ، يفكر أكثر من مرة قبل أن يبدأ بالعدوان عليهم ، إذ يشهد ماسيلقاه على أيديهم من بلاء ونكال، فتموت مطامعه في نفسه ، وفي هذا ما فيه من انتصار للسلم ودعم له ..) [١]

وقال : (والسلم الذي يدعو إليه الإسلام ليس معناه إلقاء السلاح والركون إلى الراحة والدعة ، إنما هو إعداد العدة والرباط في سبيل الله ، حتى يرهب الأعداء ويخيفهم من عاقبة التعدي على بلاد الامة الإسلامية ومصالحها ، ولأجل أن تكون آمنة في عقر دارها ، وهذا ما يسمى في عرف العصر الحديث بالسلم المسلح ، وتعني نظرية السلم المسلح : أن الدولة التي تتقن تسليحها ليس فقط لتحمي نفسها ؛ وإنما لتفرض على غيرها احترام سلمها وعدم التعرض لها ، بمعنى آخر إن الذي يفكر في الاعتداء عليها يعلم أن الحرب معها إثمها أكبر من نفعها ، ولذلك يعدل عن الحرب ويستقر السلم ..) [٢].

ولا يعني ذلك المنع من جهاد الطلب إذا كان في المسلمين طاقة عليه وقوة غالبة، ولكن جهاد الطلب من أجل دخول الناس في دين الله وإزاحة العقبات أمام هذا الهدف ، فيكتفى بالمقصود دون إراقة دماء لا حاجة إلى إراقتها ، ولهذا لم يسجل في تاريخ المسلمون أنهم ارتكبوا مجازر في حق البلدان التي افتتحوها ولم يسيئوا لتلك الشعوب .

وبسبب أسلوب الإسلام في الحرب ومحاولة حقن الدماء ما أمكن ، تجد الشعوب تدخل الإسلام بسهولة ويسر ، فليس في ذاكرتها مجازر مروعة ارتكبها الفاتحين تجعلها في حالة من الحقد والحنق عليهم ، ولا توجد في مخيلتها تلك الدماء والأشلاء وحالات التعذيب

---

(١) مقومات السلم وقضاياه المعاصرة بين النظرية والتطبيق :(١/ ٢٥٦) .

(٢) المرجع السابق :(١/ ٢٦٤) .

المروعة والانتهاكات الصارخة ؛ بحيث تنتظر الخلاص منهم وتتحين الفرص للانقضاض عليهم، بل أسلمت وحسن إسلامها وأصبحت هي من يكمل مسيرة الفتح الإسلامي ، كما حصل للبربر والأكراد والترك والمماليك والسلاجقة والفرس القدامى وشعوب ما وراء النهرين .

قال اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ :

(ويفهم أيضا من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : "نصرت بالرعب مسيرة شهر " أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم يحقق النصر عليهم ويؤدي إلى تحقيق أهداف الرسالة الإسلامية أكثر من أية وسيلة أخرى ؛ وهكذا يكون الردع أساسا للاستراتيجية العسكرية الإسلامية .. فهذا القصد _ إيقاع الرهبة في قلوب الأعداء _ ينطوي على أرفع المعاني السليمة والإنسانية وحقن الدماء ..) .

ثم بين أن أغلب غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم قد حققت أهدافها دون قتال (١٩من ٢٨) أي أن القتال نشب في تسع غزوات فقط ، ومنها فتح مكة والتي تعتبر من المعارك الفاصلة في التاريخ ،ومع ذلك فإن القتال الذي حصل فيها محدود جداً .

ثم قال :(فكان إظهار القوة التي ترهب العدو وتجرده من إرادة القتال هو جوهر خطته البارعة ، وأسلوبه الذي التزم به ، وألزم به جيش المسلمين عند التنفيذ ..ويكشف لنا ما تقدم عن أن الردع الإسلامي هو أرقى منهج للتوفيق بين الغاية والوسيلة ، وأن مواجهة الأعداء بأسلوب ينطوي على حقن الدماء هو الحكمة العليا للاستراتيجية الإسلامية ، التي تتفق مع جوهر الإسلام الذي هو دين السلام ورسالة الحق والخير والعدل ..

ثم ختم المقال فقال : (والقوة التي يكون لها فعل الردع والتي يتحقق بها القصد الإسلامي في إرهاب الأعداء يجب أن تكون على درجة عالية من الكفاية والمقدرة والتفوق بحيث ترجح كفتها على كفة العدو في ميزان القوى ، فيمتنع عن العدوان تحسبا للنتائج)[١].

فالجهاد شرع ليس لأجل سفك الدماء ونهب الثروات واستعباد الشعوب وظلمهم والسيطرة عليهم؛ ولهذا وفي أثناء الذهاب إلى القتال يأمرالشرع القائد بأن يدعو قبل المعركة إلى الإسلام قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) .

فهذا هو الهدف والغاية ونهاية المطاف ، فلا يأمر بالقتل الذريع ولا انتهاك حرماتهم ، وإنما يكتفي بما هو ضروري.

كما قال الشيخ ابن باز:

(فالمقصود من الجهاد رحمة الناس، وإنقاذهم مما هم فيه من الباطل وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك بالله والعبودية لغيره إلى عبادته وحده، وإلى الدخول في عدل الإسلام وسعة الإسلام، وإلى الدخول في أسباب النجاة والسعادة، هذا هو المقصود من الجهاد..)[٢].

---

(١) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية (١٠٣) .

(٢) دروس للشيخ عبد العزيز بن باز (٥/ ٩).

المبحث الثالث

المطلب الأول : الاستعداد من الواجبات الشرعية .

المطلب الثاني :عدم الاستعداد أو التقصير فيه من الذنوب العظيمة

المطلب الثالث : لابد أن يكون الاستعداد بأقصىٰ الطاقة والقدرة والوسع .

المطلب الرابع : من الاستعداد السعي للوصول لأن يكون المسلمون أقوىٰ دولة في العالم

المطلب الخامس : الاستعداد لابد أن يستمر ولا يكون في بعض الأوقات فقط .

المطلب السادس : لا بد أن تكون حالة التأهب القصوىٰ مستمرة

المطلب الأول الاستعداد من أوجب الواجبات الشرعية :

لابد أن نعلم أن الاستعداد لملاقاة الأعداء من أوجب الواجبات على الأمة ، حتى في أوقات السلم والأمن ؛ فكيف يكون الأمر في أوقات الحروب وتهديد الأعداء واستعدادهم ؛ لا شك أن الامر يزداد وجوباً .

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :

(وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[١]

وقال الجصاص:

(قوله تعالى ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة والعدة ما يعده الإنسان ويهيئه لما يفعله في المستقبل وهو نظير الأهبة وهذا يدل على تعداد للجهاد قبل وقت وقوعه وهو كقوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم كان يقع على وجه الفساد وتخذيل المسلمين وتخويفهم من العدو والتضريب بينهم والخروج)[٢].

وقال السعدي:

(..ومن ذلك الأمر بالجهاد، والحث عليه، من لازم ذلك الأمر بكل ما لا يتم الجهاد إلا به، من تعلم الرمي بكل ما يرمى به، والركوب لكل ما يُركب، وعمل آلاته وصناعاته،

---

(١) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية :(١ / ٢٩) .

(٢) أحكام القرآن ـ للجصاص :(٤/ ٣١٩).

مع أن ذلك كله داخل دخولَ مطابقة في قوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } [لأنفال: ٦٠] فإنها تتناول كل قوة عقلية وبدنية، وسياسية وصناعية ومالية و نحوها)[١].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

(وأن نعد لهم من القوىٰ المعنوية والحسية غاية ما نستطيعه ، عملاً بقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ})[٢].

وقال الشيخ ابن باز :

(لا ريب أن من أهم الواجبات الإيمانية: أخذ الحذر من عدونا، وأن نعد له ما نستطيع من القوة، وذلك من تمام الإيمان، ومن الأخذ بالأسباب التي يتعين الأخذ بها، ولا يجوز إهمالها، كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } وقوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ })[٣].

وقال الشيخ عبدالله بن حميد _ رحمه الله _ :

(.. فأمر المسلمين أن يأخذوا حذرهم من أعداء الله ، وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ، لأن ذلك أول قواعد القتال وأعظمها شأنا ، وأن الإعداد بجميع أنواعه وأقسامه المنطوية تحت كلمة قوة : أي برية وبحرية وجوية ، وأن الاهتمام بالقوات الثابتة والمرابطة : كالاهتمام بالقوات المتحركة والاهتمام بالجيش في أيام السلم كالاهتمام به في أيام الحرب ، وأن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران:الطاعة والنظام..)[٤].

---

(١)مؤلفات السعدي :(١/ ٣٠).

(٢) فتاوىٰ ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١٣/ ١٩٠) .

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن باز :(١ / ٢٩٩)

(٤) فتاوىٰ سماحة الشيخ عبدالله بن حميد ص(٣٤٦) .

وقال الشيخ ابن عثيمين :

(الإعداد للجهاد في سبيل الله فرض كفاية، والمخاطَب بذلك ولاة الأمور؛ لقول الله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } [الأنفال:٦٠]، ويكون في أحسن موضع يُتَلَقى فيه هذا الإعداد، فكما قلتُ: يخاطَب بذلك ولاة الأمور، أما أفراد الناس فهم لا يستطيعون في الغالب)[١] .

وقال أيضا _ رحمه الله _ :

(ففي هذه الأحاديث وأشباهها حث على تعلم الرمي وعلى أن الإنسان ينبغي له أن يتعلم كيف يرمي ولو بالأسلحة الخفيفة لأنه لا يدري ماذا يحدث له حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز العوض في المسابقة في الرمي يعني مثلا رمي اثنان بالبندقية أو شبهها من السلاح ويجعلون بينهما عوضا من يرمي منهم يأخذه)[٢] .

وقال الشيخ الألباني:

(والذي يحتاج إلى التفصيل؛ إنما هو التذكير بحقيقتين اثنتين:

الأولى: أن قتال أعداء الله- من أي نوع كان- يتطلب تربية النفس على الخضوع لأحكام الله واتباعها؛ كما قال- صلى الله عليه وسلم -: "المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله " ، والأخرى : أن ذلك يتطلب الإعداد المادي والسلاح الحربي؛ الذي ينكأُ أعداء الله؛ فإن الله أمر به أمير المؤمنين فقال: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) [الأنفال: ٦٠] . والإخلال بذلك مع الاستطاعة؛ إنما هو من صفات المنافقين، ولذلك قال فيهم رب العالمين: (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدَّةً)

---

(١) لقاء الباب المفتوح - (٢ / ٤٩)

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ٣٨٠) .

[التوبة: ٤٦] ، وأنا اعتقد جازماً أن هذا الإعداد المادي لا يستطيع اليوم القيام به جماعة من المؤمنين دون علم من حكامهم- كما هو معلوم-، وعليه؛ فقتال أعداء الله من جماعة ما سابق لأوانه، كما كان الأمر في العهد المكي، ولذلك؛ لم يؤمروا به إلا في العهد المدني؛ وهذا هو مقتضى النص الرباني: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) [البقرة: ٢٨٦])[1] .

وقال الشيخ محمد جميل زينو _ رحمه الله _ :

(فلا نصر على الكفار إلا بالرجوع إلى تحكيم كتاب الله ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في حياتنا وأمورنا كلها ، مع إعداد القوة من الأسلحة الحديثة ، والشباب المسلم المدرب ، الذي يكون قد تربى على الرجولة وتشبع بالأيمان ، والتزم النهج الصحيح ، والعقيدة السليمة)[2] .

وقال الزحيلي :

(يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوّهم، وهذا يستلزم التأهّب لهم بإعداد الأسلحة وإعداد الجيش المقاتل. ويرسم الله تعالى سياسة الحرب ويضع قواعد القتال المؤدية إلى النصر والفوز الساحق. يا أيها المؤمنون التزموا الحذر، واحترسوا من الأعداء، واستعدوا لردّ العدوان، فإنكم معرّضون لشنّ معارك كثيرة طاحنة، وهذا أمر دائم يتكيّف بحسب تطور وسائل الحرب وقواعد القتال على مر العصور)[3] .

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٢٤١)

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن جميل زينو (٧/ ٩)

(٣) التفسير المنير للزحيلي (٥/ ١٥١)

وقال :

(إن من أول واجبات الدولة ـ كما ذكرت (عند الماوردي وغيره) فيما عرضته ـ هو الدفاع عن كيان الدولة وتحصين الثغور، وحماية الرعية، وإعداد العدة الملائمة والقوة الضاربة وتدريب المقاتلة، وتعلم فنون الحرب وكيفية استخدام السلاح المناسب للزمان والمكان)[١].

المطلب الثاني ترك الاستعداد والتقصير فيه ذنب عظيم :

من ذنوب الأمة العظيمة أن تترك الاستعداد أو تقصر فيه ، ولو لم تحصل حروب أو لم توجد حاجة حالية له .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي:

(.. يا عجبا لنا معشر المسلمين كيف أهملنا هذا الأصل العظيم من أصول ديننا ، وكيف ضيعنا هذا الفرض الذي لا تستقيم الأمور إلا به ، تجدنا لا نحسن الرمي والركوب ولا فنون الجهاد ..فاجتهدوا- رحمكم الله- في تحقيق هذا الأصل الذي أهملتموه ، وتعلموا وعلموا أولادكم هذا الفرض الذي طالما أضعتموه ، لعل الله يمدكم بعونه وعنايته ، ويحفظكم بلطفه وحفظه ورعايته . قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } أخبر الله تعالى أن دين الإسلام إنما يقوم بالعلم الشرعي والجهاد والقوة والسلاح والحديد ، فكل واحد منهما يمد الآخر بمعونة

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته (٨/ ٤٨٢)

العزيز الحميد. أما ترون أهون الأمم حين أهمل المسلمون هذه الأوامر قد استولوا على كثير من أوطانهم ، ولا يزالون طامعين فيها ؛ إن بقوا على تفرقهم وتخاذلهم وهوانهم . فاتقوا الله عباد الله ، وقوموا بهذا . الفرض الذي تنبني عليه جميع الواجبات ، وبوسائله ومكملاته من جميع النواحي والجهات . فإن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الدين ، و « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » ، قال تعالى: { وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } .)[1] .

وقال الشيخ ابن باز :

(ويستحق الذم والوعيد وأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة على ما يفعله من المعاصي والمخالفات، وعلى تفريطه في الأخذ بالأسباب وعدم إعداده لعدوه ما يستطيع من القوة)[2] .

وقال أيضاً :

(والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية، والثواب الجزيل، وفي الترهيب من ترك الجهاد والإعراض عنه كثيرة جدا، وفي الحديثين الأخيرين وما جاء في معناهما الدلالة على أن الإعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملة الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع، وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمره والجهاد في سبيله، فنسأل الله أن يمن

(١) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية :(ص: ٢٩٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز – (١ / ١٠١)

على المسلمين جميعا بالرجوع إلى دينه، وأن يصلح قادتهم ويصلح لهم البطانة ويجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم جميعا للفقه في الدين والجهاد في سبيل رب)[١]

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي:

(فالمتكاسل الذي لا يُعد القوة لرد الكفاح المسلح، وقمع أعداء الله، هو مخالف لنظام القرآن، غير ممتثل أمر الله؛ لأن الله يقول: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ})[٢].

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي :

(فترك القوة والاستعداد للعدو مخالف للشرع الكريم، ومخالف للفطر السليمة، فالحياة بتطوراتها الراهنة لا يجوز للمسلمين أن يتركوا استعمال القوة وجميع أنواع الوسائل لتكون عندهم قوة يدافعون بها عن أنفسهم ودينهم)[٣].

وقال الشيخ ابن عاشور في تفسيره : :

(فالتفريط في الاستعداد للجهاد حرام لا محالة لأنه إلقاء باليد إلى التهلكة، وإلقاء بالأمة والدين إليها بإتلاف نفوس المسلمين)[٤].

ولهذا عد العلماء ترك الاستعداد من كبائر الذنوب.

قال ابن حجر الهيتمي:

(الكبيرة التسعون والحادية والثانية والتسعون بعد الثلاثمائة : ترك الجهاد عند تعينه بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخذوا مسلما وأمكن تخليصه منهم ، وترك الناس الجهاد من

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ٣٦٨)

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٢٣٢ المكتبة الشاملة).

(٣) المرجع السابق (٥/ ٤٣٦).

(٤) التحرير والتنوير (٢ / ٢١١).

أصله ، وترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين) .قال تعالى : { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } ، وهي مصدر بمعنى الهلاك فلا فرق بينهما .وقال قوم : التهلكة ما أمكن التحرز عنه والهلاك ما لم يمكن التحرز عنه ، وقيل هي نفس الشيء المهلك ، وقيل هي ما تضر عاقبته .واختلفوا في تفسير الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة ، فقيل هو راجع إلى نفس النفقة وعليه قول ابن عباس والجمهور ، وإليه ذهب البخاري ولم يذكر غيره على أن لا ينفقوا في جهات الجهاد أموالهم فيستولي العدو عليهم ويهلكهم ، فكأنه قيل إن كنت من رجال الدين فأنفق مالك في سبيل الله ، وإن كنت من رجال الدنيا فأنفق مالك في دفع الهلاك والضر عن نفسك)[1].

المطلب الثالث : قوله تعالى "مَّا اسْتَطَعْتُم " أي بكل طاقتكم .

لا يكتفي الشارع بالاعداد المتوسط أو العادي ، فضلا عن الإعداد الضعيف، بل يأمر المسلمين بالاستعداد العالي الذي هو أقصى الطاقة والجهد ، ويأمرهم بالجد والاجتهاد التام في هذا الأمر .

فمعنى قوله تعالى : " مَّا اسْتَطَعْتُم " أي : بكل استطاعتكم وأقصى ما تقدرون عليه من الاستطاعة ، كما يقول الرجل لابنه : اركض بقدر ما تستطيع ، أي بكل طاقتك وقدرتك ووسعك ، لا كما يفهم بالبعض من أن معنى ذلك أنه يكفي الحد الأدنى من الاستطاعة والاكتفاء بالقليل منها ،وهذا الفهم سيؤدي إلى التراخي والتقاعس والضعف في الأخذ بالقوة والاستعداد ، ويؤدي إلى التواني والتأخر عن المبادرة والسرعة في الانجاز

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٣/ ١٤٧).

ويكفي أن نعلم أن لفظ الجهاد مشتق من الجهد وهو المبالغة في البذل والاستطاعة .

جاء في لسان العرب: (الجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب، أو اللسان أو ما أطاق من شيء)[١] .

وفي تاج العروس :

(وهو المبالغةُ واستفراغ ما في الوُسْع والطاقة من قوْلٍ أَو فِعْلٍ)[٢] .

وقال ابن حجر :

(والجهاد بكسر الجيم أصله لغة : المشقة يقال جهدت جهادا بلغت المشقة وشرعا بذل الجهد في قتال الكفار)[٣] .

إذن لا بد من بذل أقصىٰ ما يستطاع في الاستعداد في جميع المجالات التي تلزم للحروب ، وقد نبه العلماء لهذا الأمر ، وإليك جملة من أقوالهم .

قال ابن كثير :

(ثم أمر تعالىٰ بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: {وأعدوا لهم ما استطعتم} أي: مهما أمكنكم، {من قوة ومن رباط الخيل})[٤] .

وفي مفاتيح الغيب :

(وأن يعدوا للكفار ما يمكنهم من آلة وعدة وقوة ..)[٥] .

(١) لسان العرب» لابن منظور (٣/ ١٣٤) مادة (جهد).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس - (٧ / ٥٣٧) .

(٣) فتح الباري - ابن حجر - (٦ / ٣).

(٤) تفسير ابن كثير :(٤/ ٨٠).

(٥) (١٥ / ٤٩٩) المكتبة الشاملة.

وفي لطائف الإشارات:

(أعدوا لقتال الأعداء ما يبلغ وسعكم ذلك من قوة)[١].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله :

({مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم ..) [٢].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

(وأن نعد لهم من القوى المعنوية والحسية غاية ما نستطيعه ، عملاً بقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ})[٣].

وقال الشيخ ابن باز:

(فالمسلمون إذا صبروا في طاعة الله وفي جهاد أعدائه واتقوا ربهم في ذلك بإعداد العدة المستطاعة : البدنية والمالية والزراعية والسلاحية وغير ذلك ، نصروا على عدوهم ؛ لأن هذا كله من تقوى الله ، ومن أهم ذلك إعداد العدة المستطاعة من جميع الوجوه ، كالتدريب البدني والمهني، والتدريب على أنواع الأسلحة).

وقال :

(فيجب على أهل الإيمان أن يعدوا العدة المناسبة لجهاد الأعداء بكل ما يستطيعون ، والله سبحانه وتعالى يقول : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } (فعلى المسلمين أن يعدوا ما استطاعوا من القوة : من السلاح والرجال والتدريب) .

---

(١)(١ / ٦٣٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٣٢٤) .

(٣) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١٣/ ١٩٠) .

وقال :

(ومما تقدم يتضح ذوي البصائر أن الواجب امتثال أمر الله والإعداد لأعدائه وبذل الجهود في الحيطة والحذر ، واستعمال كل ما أمكن من الأسباب المباحة الحسية والمعنوية فإذا فعلوا ذلك كفاهم الله شر عدوهم وجاءهم النصر من الله)[١].

وحذر الشيخ ابن باز من عدم الاستعداد التام ، والاكتفاء ببعض الإعداد ، فقال :

(فعن هذه الأسباب الخطيرة وثمراتها وموجباتها حصل ما حصل من الضعف أمام العدو والتأخر في كل شيء إلا ما شاء الله والإقبال على الشهوات المحرمة والشغل بما يصد عن سبيل الله وعن الهدى وعدم الإعداد للعدو لا من جهة الصناعة ولا من جهة السلاح الكافي الذي يخيف العدو ويعين على قتاله وجهاده وأخذ الحق منه وعدم إعداد الأبدان للجهاد وعدم صرف الأموال فيما ينبغي لإعداد العدة للعدو والتحرز من شره والدفاع عن الدين والوطن . ونشأ عن ذلك المرض الحرص على تحصيل الدنيا بكل وسيلة وعلى جمعها بكل سبب وأصبح كل إنسان لا يهمه إلا نفسه وما يتعلق ببلاده وإن ذهب في ذلك دينه أو أكثره ،هذا هو حال الأكثرية وهذا هو الغالب على الدول المنتسبة للإسلام اليوم ، بل يصح أن نقول : إن هذا هو الواقع ، إلا ما شاء الله جل وعلا ، من بعض الإعداد وبعض التحرز على وجه ليس بالأكمل وليس بالمطلوب من كل الوجوه وعن الجهل أيضا نشأت هذه الكوارث وهذه العواقب الرديئة التي هي حب الدنيا وكراهية الموت والإقبال على الشهوات وإضاعة الواجبات والصلوات وإضاعة الإعداد للعدو من كل الوجوه إلا ما شاء الله من ذلك ..)[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز : (٦/ ١١٢).

(٢) المرجع السابق: (٥ / ١٠٣).

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي :

(..فتجدوا نص هذه الآية الكريمة يأمر بإعداد القوة، وهو مساير للتطور مهما بلغ التطور، ولو مما لا يتصوره الإنسان، فالمتكاسل الذي لا يُعد القوة لرد الكفاح المسلح، وقمع أعداء الله، هو مخالف لنظام القرآن، غير ممتثل أمر الله)[١].

وقال :

(فهو أمر جازم بإعداد كل ما في الاستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت ، فهو أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية ، وعدم الجمود على الحالات الأول إذا طرأ تطور جديد ، ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين)[٢] .

وقال الشيخ عطية سالم:

(..لكن قوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَة } [الأنفال:٦٠]، يشمل كل قوة، ولا حد للاستطاعة البتة) .

وفي زهرة التفاسير لأبي زهرة :

(فلا بد من التربية على الجندية، وإعداد عدة القتال، وذلك بأقصى ما يستطاع.. فكل قوة مستطاعة يجب على الأمة أن تتضافر على إيجادها، وإلا أثمت كلها ، ولم ينج من الإثم فقيرها وغنيها ولا قويها أو ضعيفها ، فالقادر بقدرته ، والضعيف بلسانه)[٣].

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٢٣٢ المكتبة الشاملة).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – (٣ / ٣٨) .

(٣) زهرة التفاسير (٦/ ٣١٤).

وقال الدكتور عبدالله الزاحم : (فكان حتما علينا نحن المسلمين أن نكون دائما على أتم استعداد وأقوى إعداد لملاقاة عدونا وحماية ديننا ووطننا مما يحيط به من أعداء ، سواء في الداخل أو الخارج)[١] .

وقال الشيخ ابن عاشور:

(والقوة غير مقصورة على العدد والعدة بل هي شاملة لكل ما يساعد على النصر ودحر العدو ، والإعداد التهيئة والإحضار، ودخل في {مَا اسْتَطَعْتُمْ} كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة، والخطاب لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم، لأن ما يراد من الجماعة إنما يقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها)[٢] .

وخلاصة القول أن الاستعداد التام يقوي الثقة في النفوس فيرفع المعنويات ويشجع الناس ويثبتهم عند القلاقل والأراجيف ، والحازم لا يمكن أن يغامر بمصيره ويستكين للتواكل ؛ ويطمئن نفسه ويخادعها ويعيش في الأماني والأحلام الجميلة ويعتبر ذلك من التفاؤل ، ومن التوكل !

فالتفاؤل يأتي بعد الاستعداد التام بأقصى ما يستطيع وحشد كل الطاقات الممكنة فإذا لم يفعل ذلك فقد عرض نفسه للهلاك لا محالة إن عاجلا أو آجلا قال الشاعر القديم :

متى تجمع القلب الذكي وصارماً ... وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

(١) مقومات السلم وقضاياه المعاصرة (١/ ٢٦٢) .

(٢) التحرير والتنوير - (٩ / ١٤٤).

المطلب الرابع : من الاستعداد السعي للوصول لأن يكون المسلمون أقوى دولة في العالم .

فالهدف لدى المؤمنين أن يكونوا أقوى من أهل الشر والإجرام والكفر ،فهذا هو الهدف الأسمى الذي يتطلع إليه أهل الإيمان ويسعون إلى تحقيقه بكل ما أوتوا من قوة ، لا أن يكونوا أقل من أهل الشر المتربصين عدة وعتادا، إذا كان ذلك بمقدورهم .

قال الشيخ ابن باز:

(كما أنه لابد من الصبر في إعداد الأسلحة المستطاعة التي تماثل سلاح العدو أو تفوقه حسب الإمكان)[١] .

وقال الشيخ عبدالله بن حميد :

(وأوجب عليهم الاستعداد بكل قوة يستطيعونها، ونهاهم عن الإخلاد إلى الكسل والعجز والدعة والراحة، وأخبرهم أن هذا سبب للذل ؛ بل أمرهم أن يكونوا أقوياء أشداء أعزاء، لا تلين قناتهم لأحد سوى الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا)[٢] .

وقال اللواء الركن محمد جمال محفوظ :

(والقوة التي يكون لها فعل الردع والتي يتحقق بها القصد الإسلامي في إرهاب الأعداء يجب أن تكون على درجة عالية من الكفاية والمقدرة والتفوق بحيث ترجح كفتها على كفة العدو في ميزان القوى ، فيمتنع عن العدوان تحسبا للنتائج)[٣] .

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز – (٢ / ٢٨٧).

(٢) الدرر السنية في الكتب النجدية – (٢٣ / ٢٣٧).

(٣) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية (١٠٣) .

وقال الزحيلي :

(دل ذلك كله على أنه على المسلمين تعلم كل ما يؤدي إلى التقوية والتفوق العسكري بحسب متطلبات كل زمان ومكان من تسابق في آلات الحرب وإنتاجها، وتهيئة عُدَد القتال، وتمرن على استعمالها، وحمل الأسلحة بمختلف أنواعها، وإنشاء الصناعات الحربية، ومداومة على التدرب، ونحو ذلك من كل ما فيه إعداد يرهب الأعداء، ويوفر القوة الكافية للمسلمين، قال صلّى الله عليه وسلم : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)[١] .

ويقول عبدالحليم محمود :

(ويدعونا الإسلام ـ أيضا ـ إلى أن نكون في هذا الجانب المادي أقوى ما نكون: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)..

والاستطاعة لا تكاد تحد، وكلما وصل الإنسان إلى حد من الاستطاعة تفتحت أمامه آفاق استطاعات جديدة يجب عليه أن يلجها، فهو في كل آونة مترق في عالم الطبيعة، وهو في كل آونة متتبع لهذه القوانين مترق فيها حتى يظل دائما في القمة، فيكون مركزه دائما وباستمرار القمة من القوة المادية..)[٢] .

وقال الشيخ رشيد رضا :

(والمرابطة ، وهي الرباط بمعنى مباراة الأعداء ، ومغالبتهم في الصبر ، وفي ربط الخيل كما قال : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل [٨ : ٦٠] على الأصل الذي قرره الإسلام من مقاتلتهم بمثل ما يقاتلوننا به ، فيدخل في ذلك مباراتهم في هذا العصر

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته – (٨ / ٤٨٤).

(٢) فتاوي عبد الحليم محمود ، بتصرف يسير – (١ / ٨) .

بعمل البنادق ، والمدافع ، والسفن البحرية والبرية والهوائية ، وغير ذلك من الفنون ، والعدد العسكرية ، ويتوقف ذلك كله على البراعة في العلوم الرياضية ، والطبيعية ، فهي واجبة على المسلمين في هذا العصر ؛ لأن الواجب من الاستعداد العسكري لا يتم إلا بها ، وقد أطلق لفظ المرابطة عند المسلمين على الإقامة في ثغور البلاد ، وهي مداخلها على حدود المحاربين لأجل الدفاع عنها إذا هاجمها الأعداء ، فإن هؤلاء يقيمون فيها ويقومون في أثناء ذلك بربط خيولهم ، وخدمتها ، وغير ذلك مما يحتاج إليه من الاستعداد)[1] .

نعم إن مماثلة العدو تماما ليست شرطا في الجهاد لا سيما جهاد الدفع ولكن السعي لها بكل طاقتنا هو الواجب .

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز _ رحمه الله _ :

(يجب أيضا من إعداد العدة كما قال الله سبحانه وتعالى { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } إلخ، فلا بد من إعداد العدة البدنية والمادية وسائر أنواع العدة من جميع الوجوه حتى نستغني بما أعطانا الله سبحانه عما عند أعدائنا فإن قتال أعدائنا بما في أيديهم من الصعب جدا الحصول عليه ، فإذا منع العدو عنك السلاح فبأي شيء تقاتل ؟.. فلا بد من إعداد المستطاع ، ويكفي المستطاع ما دام المسلمون قاصدين الاستغناء عن عدوهم وجهاد عدوهم واستنقاذ بلادهم قاصدين إقامة أمر الله في بلاد الله قاصدين الآخرة ما استطاعوا لكل ذلك . فإن الله سبحانه وتعالى يقول { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } إلخ ، ولم يقل وأعدوا لهم مثل قوتهم ؛ لأن هذا قد لا يستطاع ، فإذا صدق المسلمون وتكاتفوا وأعدوا لعدوهم ما استطاعوا من العدة ونصروا دين الله ، فالله يعينهم وينصرهم سبحانه

---

(١) تفسير المنار – (٤ / ٢٦١).

وتعالىٰ ويجعلهم أمام العدو وفوق العدو لا تحت العدو ، يقول الله وهو الصادق في قوله ووعده : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ })[١] .

المطلب الخامس : الاستعداد والتدريب لابد أن يكون مستمراً .

إن التدريب والاستعداد في الإسلام حالة مستمرة وليس في فترة محدودة ، بل أن المسلم يأثم إذا نسي استعمال آلة القتال بعد تعلمها .

قال القرطبي :

(أي : يجعل الرَّمي بدلاً من اللهو ، فيدوم عليه ، ويشتغل به حتىٰ لا ينساه ، ولا يغفل عنه فيأثم ، علىٰ ما جاء في حديث عقبة بن عامر ، قال : سمعت رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ يقول :" إن الله يدخل بالسَّهم الواحد ثلاثة نفر الجنَّة : صانعه يحتسبه في صنعه الخير ، ومنبله ، والرامي به . وأن ترموا أحبّ إليّ من أن تركبوا . ليس من اللهو إلا ثلاث : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله. ومن ترك الرمي بعدما تعلمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها -أو قال : كفرها-").

وقوله : (من علم الرمي ثم تركه فليس منا ، أو قد عصىٰ) ؛ هذا شك من بعض الرواة في أي اللفظين قال ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ . فهو ظاهر في ذم من ترك الرمي بعد أن علمه . وسبب هذا الذم: أن هذا الذي تعلم الرمي حصلت له أهلية الدفاع عن دين الله ، والعناء فيه ، والنكاية في العدو. فقد تعيّن لأن يقوم بوظيفة الجهاد ، فإذا ترك ذلك حتىٰ يعجز عنه فقد فرط في القيام بما تعين عليه)[٢] .

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز (٥/ ١٠١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٢ / ٦١) وانظر الزواجر عن اقتراف الكبائر (٣/ ١٩٣).

وقال الشوكاني :

(وفي ذلك إشعار بأن من أدرك نوعا من أنواع القتال التي ينتفع بها في الجهاد في سبيل الله ثم تساهل في ذلك حتى تركه كان آثما إثما شديدا لأنه ترك العناية بذلك يدل على ترك العناية بأمر الجهاد وترك العناية بالجهاد يدل على ترك العناية بالدين لكونه سنامه وبه قام)[1]

وقال المراغي :

(والخلاصة - إنكم إما أن تنفروا جماعات جماعات ، وإما أن ينفر جميع المؤمنين على الإطلاق بحسب حال العدو ، وامتثال هذا الأمر يقتضي أن تكون الأمة على استعداد دائم للجهاد بأن يتعلم كل فرد من أفرادها فنون الحرب ويتمرن عليها ، وأن تقتني السلاح الذي تحتاج إليه في هذا النضال ، وتعلم كيفية استعماله في كل زمان بما يناسبه)[2].

وفي التفسير الواضح :

(ولم تغفل الآية الإعداد في وقت السلم حتى يكون الجيش على أتم استعداد في كل وقت (كلما سمعوا هيعة طاروا إليها) فأمرنا بإعداد الخيل المرابطة في الثغور لمقابلة العدو ليلا ونهارا)[3].

وقال اللواء الركن محمد جمال محفوظ:

(ونفهم أيضا من الحديث الشريف أن حالة الاستعداد القصوى يجب أن تكون "حالة دائمة "لا تتوقف إذا زال الخطر، وهوما يفهم من لفظ "كلما" في عبارة : كلما سمع هيعة

---

(١) نيل الأوطار :(٨/ ١٦٣) .

(٢) تفسير الشيخ المراغي (٥/ ٨٨).

(٣) التفسير الواضح (١ / ٨٤١).

طار إيها "فالاستعداد هنا لا يكون للانطلاق نحو الخطر ثم نعود الى الحالة العادية بعد الفراغ من المهمة ، بل إن الاستعداد يجب أن يظل على درجته القصوى لمواجهة أي خطر جديد ، وبعبارة أدق لمواجهة " كل خطر جديد")[1] .

وذكر أيضا في كتابه لأجل ردع الأعداء عدة نقاط ، منها : (دوام حالة الاستعداد القصوى _ وضرورة توفر خفة الحركة للقوة المتأهبة _ والاستعداد المستمر للانطلاق الفوري _ والقوة الشاملة _ وتحقيق أكبر قدر من الاكتفاء الذاتي _ والاستطلاع أمر حيوي _ وغرس وعي الأمن بالتربية والتوعية _ والقدرة الهجومية _ وردع القوة المضادة _ والتخطيط على أساس أحدث المعلومات وأدقها _ وتعلم لغة العدو_ والتدريب بلا توقف) .

قال الزحيلي: (والخلاصة - إنكم إما أن تنفروا جماعات جماعات ، وإما أن ينفر جميع المؤمنين على الإطلاق بحسب حال العدو.

وامتثال هذا الأمر يقتضى أن تكون الأمة على استعداد دائم للجهاد بأن يتعلم كل فرد من أفرادها فنون الحرب ويتمرن عليها ، وأن تقتنى السلاح الذي تحتاج إليه فى هذا النضال ، وتعلم كيفية استعماله فى كل زمان بما يناسبه.

---

(١) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ص(٨٨).

المطلب السادس : حالة التأهب القصوى والتيقظ التام .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(من خير معاش الناس لهم ، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله ، يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه ، يبتغي القتل والموت مظانه) .

وقال (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة؛ كان في الحراسة، وإن كان في الساقة؛ كان في الساقة، إن استأذن؛ لم يؤذن له، وإن شفع؛ لم يشفع) .

قال الشيخ ابن عثيمين :

(آخذ بعنان فرسه": أي: ممسك بمقود فرسه الذي يقاتل عليه. (وقال): فهو في استعداد دائم للجهاد في سبيل الله)[1] .

وقال الشيخ صالح الفوزان :

(مُعِدٌّ نفسه للجهاد دائماً وأبداً، ينتظر الجهاد، ويرغب فيه "آخذ بعِنان فرسه في سبيل الله" في أيّة ساعة تدعو الحاجة فإنه يبادِر بالجهاد في سبيل الله)[2] .

وقال :

(يعني: للجهاد في سبيل الله، دائماً مُعِدٌّ نفسه ومُعِدٌّ فرسه للجهاد في سبيل الله، يترقّب الغزوات والسرايا، ويحب الجهاد في سبيل الله، ولا يحب الراحة والرفاهية)[3] .

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد –(٢ / ١٤٤) .

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد – (٢ / ١٠٦) .

(٣) المرجع السابق (٢ / ١٠٢) .

وقال اللواء الركن اللواء محمد جمال الدين أن كلمة ((ممسك)) في عبارة ((رجل ممسك بعنان فرسه)) تعني من الناحية اللغوية: درجة من الاستعداد أكبر من مجرد ركوب الفرس، فهي تفيد استمرار حالة الإمساك بعنان الفرس.

فهي تدل بذلك على معنى الاستعداد الكامل والمستمر للانطلاق بمجرد الإشارة، فالفارس والحالة هذه إذا جاءه الأمر بالانطلاق أو إذا رأى خطراً لن يكون بحاجة إلى الإتيان بأي تصرف ولا حتى مد يديه إلى عنان فرسه ليمسك به، لأنه ممسك به فعلاً، أي أن كل ما سوف يفعله هو الانطلاق في الحال.

وكلمة ((طار)): في عبارة: ((كل ما سمع هيعة طار إليها)) ذات مدلول لسرعة الحركة، يفوق كثيراً كلمة اندفع أو أسرع فهي كلمة تعبر عن أسرع أشكال الحركة على الإطلاق، لأنها أكثر ألفاظ الحركة دلالة على السرعة، ونحن عادةً ما نقول لمن نريد منه أن يندفع بأقصى سرعة: "طِرْ".

وهكذا أراد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن يكون انطلاق الرجل المتأهب أو القوى المتأهبة بأقصى سرعة ممكنة)[1].

وقال: (ومن الأمور المدهشة أن أوضاع درجات الاستعداد القصوى التي تتخذها الجيوش اليوم تشبه إلى حد كبير الأوضاع التي قررها الإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الله عز وجل يريد لهذه الأمة أن تعيش في كل عصر أمة قوية لا تؤخذ على غرة، فإن وضع الرجل الممسك بعنان فرسه في الحديث الشريف الذي استخلصنا منه مبادئ الاستعداد القصوى بكل وضوح هو بالضبط الوضع الذي يتخذه اليوم طيارو المقاتلات الاعتراضية الذين ينطلقون لقتال طائرات العدو

---

(١) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية :ص (٨٨).

المغيرة، وهذا الأسلوب تتبعه كل جيوش العالم اليوم حيث تخصص جانباً من طائراتها المقاتلة الاعتراضية لتكون في أقصىٰ درجات الاستعداد القتالي للانطلاق فور صدور الإنذار وذلك في إطار خطة الدفاع الجوي عن الدولة.

ومن أجل ذلك تكون هذه الطائرات محملة بالذخائر والصواريخ، وخزاناتها ممتلئة بالوقود، وتكون رابضة فوق مدرج (أو ممر) الطيران في المطارات الحربية، ويكون بداخل كل طائرة طيار بكامل ملابسه ومعداته وأجهزته، وليس ذلك بحسب بل أن يديه تكونان ممسكتين بعصا قيادة الطائرة، وفوق أذنية سماعات جهاز اللاسلكي المتصل بقيادته، فإذا ما صدرت إليه الإشارة بالإقلاع لا يكون أمامه من عمل يقوم به سوىٰ الإقلاع ..)[1].

(١) المرجع السابق: ص (٩١).

المبحث الرابع : القوة تشمل أموراً عديدة ، وفيه ثمانية مطالب .

المطلب الأول : كثرة عدد الجنود .

المطلب الثاني : إعداد الشباب وتدريبهم .

المطلب الثالث : تكثير الأسلحة .

المطلب الرابع: الاستفادة من الاخرين فيما ينفع المسلمين ويقويهم .

المطلب الخامس : استعمال الحيلة والمكر بالعدو ما أمكن .

المطلب السادس : الألعاب الحربية .

المطلب السابع : الادخار وتخزين ما هو ضروري .

المطلب الثامن : من أعظم أسباب دفع البلاء والنصر على الأعداء تعجيل التوبة وعدم التسويف قبل حلول المصائب والعذاب .

المطلب الأول : كثرة عدد الجنود .

قال ابن كثير :

(يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيله)[١] .

وفي تفسير ابن عاشور :

(ومن القوة كثرة القادرين على القتال والعارفين بأساليبه)[٢] .

فكثرة الجنود لا شك أنه من القوة ، ومن أعظم أسباب النصر على الأعداء ، وعدد الجنود يعتبر عنصرا مهما في المعارك بل من أهم العناصر ، يقول محمد عيد _ باحث في الشأن العسكري _ :

(إنَّ الاعتماد على التكنولوجيا التسليحية المتطورة وحدها من دون توفر العنصر البشري الماهر والمدرب والمحترف، يعد نقطة سلبية في سياق التوازن الاستراتيجي).

ولهذا تسعى الدول إلى تكثير جنودها ما استطاعت ، وتعمل على تدريب جميع شبابها من خلال تبني التجنيد الالزامي ، ولو كانت الأسلحة تكفي عن كثرة الجنود لما وجدنا دولا كبرى في التسلح تعتبر أكثر دول العالم في عدد الجنود .

وكثرة الأمة نعمة من نعم الله تعالى ، ومن أسباب عزتها وانتصارها على أعدائها ،لأنه من أسباب كثرة جنودها ، ولهذا قال الله تعالى عن بني إسرائيل: (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا).

---

(١) تفسير ابن كثير : (٢ / ٣٥٧).

(٢) التحرير والتنوير : (١٩ / ٢٥٩).

قال الشيخ ابن باز :

(الذي ينبغي للمسلمين أن يكثروا من النسل ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلا لأن ذلك هو الأمر الذي وجه النبي إليه في قوله تزوجوا الودود والولود فإني مكاثر بكم ولأن كثرة النسل كثرة للأمة وكثرة الأمة من عزتها كما قال تعالىٰ ممتنا علىٰ بني إسرائيل بذلك "وجعلناكم أكثر نفيرا" الإسراء ٦ وقال شعيب لقومه "واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم" الأعراف ٨٦ ولا أحد ينكر أن كثرة الأمة سبب لعزتها وقوتها علىٰ عكس ما يتصوره أصحاب ظن السوء الذين يظنون أن كثرة الأمة سبب لفقرها وجوعها إن الأمة إذا كثرت واعتمدت علىٰ الله عز و جل وآمنت بوعده في قوله "وما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها" هود ٦ فإن الله ييسر لها أمرها ويغنيها من فضله ..)[1].

المطلب الثاني : إعداد الشباب وتدريبهم .

وإعداد الشباب من القوة التي ترهب العدو ، فإذا شاهد العدو المسلمين يدربون شبابهم ويعدونهم الإعداد الجيد ، فإنه لا محالة سيتوقف عن مهاجمتهم ويبحث عن وسائل أخرىٰ لتحقيق مآربه .

وإعداد الشباب يكون بترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوسهم منذ طفولتهم ، وزرع الإيمان في قلوبهم والخوف من الله سبحانه ، واليقين بالإسلام دينا ، بمعرفة محاسنه وفضائله ، ومساوئ ما يضاده ، وغرس عقيدة الولاء والبراء لديهم ، وهي محبة المسلمين وبغض الكافرين والمشركين ، ومعرفة التوكل علىٰ الله عز وجل علىٰ حقيقته .

---

(١) فتاوىٰ مهمة لعموم الأمة : (١ / ١٥٩) .

وتربيتهم على الأخلاق العالية ، من غيرة شديدة ، وشجاعة فائقة ، وحياء جم ، وعزة وإباء ..

كما يجب إبعادهم عن الترف والميوعة ، وحمايتهم من الوقوع في المعاصي والانحلال ؛ بإغلاق منافذ الشر عنهم ، وأسباب غوايتهم .

فكل ذلك من أسباب تصديهم للأعداء وأنفتهم من ذل الهزيمة والاحتلال ، وثباتهم عند الملمات ، وتحملهم للصعوبات ،ومن أسباب استمرارهم في مواجهة الأخطار والاستبسال في مقاتلة الأعداء حتى النصر أو الشهادة.

قال الشيخ السعدي – حاثا أولياء الأمور على تربية أبنائهم التربية الصحيحة:

(فعليهم أن يربوهم تربية عالية ، ويبثوا فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة ، والحزم والعزم ، وجميع مبادئ الرجولة والفتوة والمروة ، وأن يدربوهم على الصبر وتحمل المشاق الذي يؤدي إلى النجاح والمثابرة في كل عمل نافع ، ويحذروهم من الجبن والكسل ، والسير وراء الطمع والمادة والانطلاق في المجون والهزل والدعة ، فإن ذلك مدعاة للتأخر الخطير)[1].

وقد تحدث أصحاب النظريات العسكرية عن أهمية العقيدة لدى المقاتل ، وألفوا الكثير من الكتب التي تبين أهمية الهدف لدى الجندي ووضوحه ، كما بينوا أهمية تلك الصفات للمقاتل ، حتى لا ينهزم أو ينسحب إذا اشتدت المعارك أو طال أمدها ، فإذا كان ضعيف الغيرة أو فاسدا منحلا فإنه لا يمكن أن يستمر في اقتحام الأهوال والدفاع عن الكرامة وعن المحارم ، بل سرعان ما يبحث عن المبررات للهزيمة والفشل والاستسلام .

---

(١) السياسة الشرعية ص ٢٨ .

قال اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ: (وتؤكد نظرية العقيدة أن العقيدة القتالية هي التي تحرك الجندي بدافع ذاتي إلى الاستبسال في القتال والتصميم على تحقيق الهدف مهما كانت التضحيات.. فالمقاتل المنتصر هو الذي يدخل المعركة مشبعاً بعقيدة معينة، ومقتنعاً بالهدف الذي يقاتل من أجله)(١).

ثم بين اللواء الركن أن المقاتل يتعرض في المعركة إلى حالات من التوتر العصبي والقلق والخوف، بل يصل إلى درجة الذعر والهلع، وأن كثير من الجنود لا يستطيع التحرك في الحالات المفاجئة، وقد تصل هذه النسبة إلى ٧٥٪ من الجنود، كما في دراسات أمريكية، وأغلب هؤلاء ممن لم يتدرب على القتال.

ثم بيّن أن الجندي الذي يتحمل معاناة المعركة هو الإنسان الصحيح نفسياً وعقلياً وجسدياً.

ثم وضع بعد ذلك أن الجندي المسلم هو أقوى جندي على الإطلاق، فقال: (ولقد أثبت التاريخ أن المقاتل المسلم الذي تربى على منهج الإسلام مقاتل من طراز فريد، لا ترقى إلى بلوغه أعظم الأساليب التي قررتها عقول القادة والمربين في كل زمان ومكان، وسجلات المعارك الإسلامية حافلة بما لا يحصى من الأدلة والبراهين على أن المقاتل المسلم تجتمع لديه كل السجايا والفضائل الحربية التي تجعله مقاتلاً لا يُقهَر)(٢).

ومن إعداد الشباب المهم تعليمهم استعمال الأسلحة وفنون القتال بما يسمى التجنيد الالزامي.

---

(١) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ص (٣٤) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق ص (٦٢).

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين_ رحمه الله-: هل يعتبر التجنيد الإجباري داخلاً في إعداد القوة للجهاد ؟

فأجاب بقوله: (من الواجب أن يدرب الشباب على الأسلحة، ولولي الأمر أن يجبر الشباب على التجنيد)[١].

ابن عثيمين

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة بالتدريب والتمرن على المعدات الحربية والتعلم لطرق الأساليب الحربية التي تلائم العصر الحاضر)[٢]

وقال الشيخ عطية سالم_ رحمه الله _ :

(الجهاد في سبيل الله مما أوجبه الله، فكيف نحافظ عليه كما نحافظ على أركان الإسلام؟ نعد له العدة، والعدة هذه هل ستعمل بذاتها تلقائياً أم أنها تحتاج إلى أيدٍ تُعْمِلها؟! تحتاج إلى أيدٍ عاملة ،إذاً: يجب إعداد الرجال والشباب، وتدريبهم وتعليمهم وتمرينهم حتى تكون هناك قوة)[٣].

وقال الدكتور عبدالله الزاحم : (ولا ينبغي أن تقتصر هذه التدريبات العسكرية ، والإعدادات البدنية والفنية للقتال على القوات النظامية فحسب بل لابد أن يصحب ذلك أيضا معسكرات للتجنيد ومراكز للتدريب ، تشمل جميع أفراد المجتمع ، من الشباب القادر على القتال..)[٤] .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين :(٢٥ / ٣٠٤).

(٢) الضياء اللامع من الخطب الجوامع -:(١ / ٤٥١) .

(٣) شرح الأربعين النووية :(٧١ / ٤).

(٤) الجهاد في الإسلام :(ص ٤٦٨) .

وقال القرافي :

(لَنَا قَوْله تَعَالَىٰ { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } وَاجْتِمَاعُ الصِّبْيَانِ لِلتَّدْرِيبِ عَلَىٰ الْحَرْبِ مِنْ أَعْظَمِ الِاسْتِعْدَادِ لِيَكُونُوا كِبَارًا أَهْلًا لِذَلِكَ)[١] .

وقال ابن القيم :

(قالت المالكية قد ندب الشرع إلىٰ تعاليم الصبيان الرمي والثقاف والصراع وسائر ما يدربهم علىٰ حمل السلاح والضرب والكر والفر وتصليب أعضائهم وتقوية أقدامهم وتعليمهم البطش والحمية والأنفة من العار والفرار)[٢] .

المطلب الثالث : الأسلحة .

قال الطبري :

(والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به علىٰ جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل . ولا وجه لأن يقال : عنىٰ بالقوة معنىٰ دون معنىٰ من معاني القوة ، وقد عم الله الأمر بها.

فإن قال قائل : فإن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله : ألا إن القوة الرمي ؟

(١) أنوار البروق في أنواع الفروق : (٧/ ٤٥٠) .

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : (١ / ٢٥١) .

قيل له : إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم ، فإن الرمي أحد معاني القوة ؛ لأنه إنما قيل في الخبر : ألا إن القوة الرمي ولم يقل دون غيرها . ومن القوة أيضا السيف والرمح والحربة ، وكل ما كان معونة على قتال المشركين ، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم ، هذا مع وهي سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1] .

وقال الشيخ السعدي :

(أي { وَأَعِدُّوا } لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. { مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة [ص ٣٢٥] ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: { ألا إن القوة الرَّمْيُ } ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: { وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها ،حتى إنها إذا لم

---

(١) تفسير الطبري : (١١ / ٢٤٩) .

توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب {وقوله:} تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ { ممن تعلمون أنهم أعداؤكم. } وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ { ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به } اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ { فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية في جهاد الكفار.

ولهذا قال تعالى مرغبا في ذلك: } وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ { قليلا كان أو كثيرا} يُوَفَّ إِلَيْكُمْ { أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.} وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ أي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا)[١].

وقال الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ :

(الصناعات الضرورية للمسلمين في حفظ دينهم يجب أن توجد في المسلمين، وأن يتعلموها، وهذا الشيء الضروري ولا يغني عنه غيره)[٢].

وقال الشيخ ابن باز:

(نعم، ينبغي للمسلمين أن يستعدوا لأعدائهم في إيجاد المصانع النافعة للمجتمع، واختراع الأسلحة المناسبة للعصر، لا تأسيا بالكفرة، ولكن طاعة لله ولرسوله، وتأسيا بالسلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، ومن سلك سبيلهم، والأصل في ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } وقوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } وقول النبي : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير

---

(١) (تفسير السعدي -(١ / ٣٢٤).

(٢) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣/ ١٠٠).

احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن » الحديث. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على أنه يجب على المسلمين أن يوجدوا بينهم من المصانع والأسلحة وأسباب العيش والحياة الكريمة ما يقوم بكفايتهم ويغنيهم عن الحاجة إلى غيرهم، ويعينهم على جهاد أعدائهم وحماية مصالحهم، والنصر لدينهم، واسترجاع أمجادهم السالفة، ومن عدوان من أرادهم أو أراد دينهم بسوء، هذا يا مصطفى أمين هو تعظيم الآثار لا ما أشرت إليه من الأبنية ونحوها والله المستعان)[١].

وقال الشيخ ابن باز :

(فكل دولة تجتهد في اقتناء السلاح المناسب في الوقت الحاضر ، والحرص على صنعته إذا أمكن أو شرائه ، والحرص على إيجاد الجندي الطيب المسلم في وقت الرخاء ، حتى إذا جاءت الشدائد تكون عندها القوة الكافية ، وهذا واجب الجميع ، وأعظم شيء وأهمه إصلاح النفوس بتقوى الله ، والاستقامة على دينه معصيته سبحانه وتعالى)[٢].

وقال ـ رحمه الله ـ :

(لكن المؤمن يعمل ويكتسب ويخترع ويصنع ويكدح ويعد العدة لآخرته ، يعمل في طاعة الله ورسوله يجمع بين هذا وهذا ، يقول جل وعلا : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١) من عمل صالحا عن إيمان أحياه الله الحياة الطيبة وجزاه بأحسن ما عمل ، فضلا منه وإحسانا سبحانه وتعالى)[٣].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز :(١ / ٣٩٢).

(٢) المرجع السابق :(٢٧/ ٣١٢).

(٣) المرجع السابق :(٢٣/ ٤٥٩).

وقال الشيخ ابن عثيمين :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة بالتدريب والتمرن على المعدات الحربية والتعلم لطرق الأساليب الحربية التي تلائم العصر الحاضر.. فبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنه لا ينبغي ترك الرمي حتى ولو لم يكن إليه حاجة وقال : « من بلغ بسهم في سبيل الله يعني من رمى فأصاب فهو له درجة في الجنة » والرمي الذي فسر به النبي صلى الله عليه وسلم الآية يشمل كل رمي في كل زمان ومكان بحسبه ، فكما أن الرمي في وقته بالنبل والنشاب والمنجنيق ، فالرمي المناسب في هذا الوقت يكون بالبارود والمدافع على اختلاف أنواعها والقنابل والصواريخ ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق الرمي ولم يعين ما يرمى به ، وإن مما جاء به الإسلام من الحث على تعلم الرمي أن أباح أخذ الرهان عليه ، فيجوز للإنسان أن يرامي صاحبه بالسلاح على عوض من الدراهم أو نحوها لما في ذلك من الحث والإغراء على تعلم الرمي)[1] .

وقال الشيخ عطية سالم _ رحمه الله _

(فكل العلوم -أياً كانت- إذا كانت في يد المسلمين فهي تخدم الإسلام ، فعلم الذرة والطاقة النووية، وعلم الفضاء، والغوص في المحيطات، والجيولوجيا في بطن الأرض، وكل ذلك حين يكون في يد المسلم، إنما هو خدمة للإسلام ؛ لقوله سبحانه: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [الأنفال:٦٠].

ونقول أيضاً: تلك القوى الفتاكة إذا كانت في يد المسلم فهي كالسيف في يد العاقل، أما إذا كانت في يد الكافر فهي كالسيف في يد الأحمق ..فالقوة مهما كانت في أي علم إذا

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع :(١ / ٤٥١) .

كانت في يد المسلم فهي كالسيف في يد العاقل لا يستعمله إلا في موضعه، وتلك القوة في يد الكافر كالسيف في يد الأحمق لا نأمن فيمن يستعملها)[١].

وقال محمد رشيد رضا :

(وتجب طاعة الإمام في التعليم العسكري بنظام القرعة وغيره ، وعليه أن يعد للأعداء ما يستطيع من قوة ليقاتلهم بها يقاتلوننا به أو يفوقهم ، ومنه إنشاء البوارج والغواصات والطيارات الحربية وأنواع الأسلحة الخ وتجب طاعته في ذلك كله بالمال والنفس ، بنص قوله تعالى (وأَعِدُّوا لَهُم ما اسْتطَعْتُم من قُوَّة) والخطاب للأمة وإنما الرئيس هو الذي يوحد النظام فيها . وعلى هذا تكون العلوم والفنون الطبيعية والكيماوية والآلية كلها من الواجبات الكفائية وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب)[٢].

وفي زهرة التفاسير:

(.. وإن ذلك الاستعداد كان يوجب أولا - أن يكون لهم مصانع تصنع لهم الأسلحة لَا أن يستعينوا بأسلحة من غيرهم، إن شاء أعطى وإن شاء منع، وفي عطائه ومنعه يعمل لمصلحة نفسه، ولا يريد بالإسلام خيرا.

ويوجب ثانيا: أن ينافسوا الناس في اختراع الأسلحة ليدفعوا أذاهم، وإلا كانوا - وهم المرهوبون - يُرهَبُون ولا يُرهِبون، يَخافون، ولا يُخيفون، وتتبدد قواهم ضياعا)[٣] .

---

(١) شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم (٤١/ ٤، عن طريق المكتبة الشاملة).

(٢) كتاب الخلافة بواسطة المكتبة الشاملة (ص: ٣٧) .

(٣) زهرة التفاسير (٦/ ٣١٧٤) .

المطلب الرابع :الاستفادة من الاخرين فيما ينفع المسلمين ويقويهم .

قال الشيخ محمد أمين الشنقيطي _ رحمه الله _

(وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يفعل ، فقد انتفع بحفر الخندق في غزوة الأحزاب ، مع أن ذلك خطة عسكرية كانت للفرس ، أخبره بها سلمان فأخذ بها ، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها للكفار ، وقد هم صلى الله عليه وسلم بأن يمنع وطء النساء المراضع خوفا على أولادهن ؛ لأن العرب كانوا يظنون أن الغيلة - وهي وطء المرضع - تضعف ولدها وتضره ، ومن ذلك قول الشاعر :

فوارس لم يغالوا في رضاع فتنبو في أكفهم السيوف

فأخبرته صلى الله عليه وسلم فارس والروم بأنهم يفعلون ذلك ولا يضر أولادهم ، فأخذ صلى الله عليه وسلم منهم تلك الخطة الطبية ، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها من الكفار .

وقد انتفع صلى الله عليه وسلم بدلالة ابن الأريقط الدؤلي له في سفر الهجرة على الطريق ، مع أنه كافر .

فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية ، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا فتصلح لهم الدنيا والآخرة ، والمؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية، فيأخذون منها الانحطاط الخلقي ، والانسلاخ من الدين ، والتباعد من طاعة خالق الكون ، ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

وما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل وقد قدمنا طرفا نافعا في كون الدين لا ينافي التقدم المادي في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى : إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم فأغنى ذلك)[١] .

وقال الشيخ بن باز :

(فالكتب التي ألفها الأقدمون من المسلمين ، أو ألفها غير المسلمين وتنفع المسلمين وتعينهم على الإعداد للعدو ، وهم في شتى العلوم الدنيوية يعتنى بها أيضا ، إن كانت تنفع المسلمين وتعينهم على إعداد القوة والاجتهاد فيما ينفعهم في دينهم ويقوي جندهم وجهادهم ضد عدوهم ، ومن أعظم ذلك العناية أيضا بأخلاق النبي وسيرة أصحابه وسيرة أهل العلم حتى يقتدى بهم في الخير ؛ لأن العلم المقصود منه العمل ، علينا أن نعنى بالسلف الأخيار وعلى رأسهم نبينا عليه الصلاة والسلام ، في أخلاقه وسيرته وقيامه وصلاته وغير ذلك، وسيرة أصحابه وأعمالهم الطيبة وغزواتهم وجهادهم وتعليمهم وإرشادهم وما كانوا عليه من بث العلم ونشره)[٢] .

وقال الشيخ محمد جميل زينو:

(علينا أن نقلد الغربي في الاختراعات الحديثة كالقطارات ، والدبابات ، والغواصات، وغيرها من الأسلحة المتطورة ، حتى لا نحتاج إليهم ، وندفع بها عن ديننا وأرضنا لا أن نقلدهم في التبرج والرقص والميوعة ، وغيرها من الأمور الضارة)[٣] .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (٣/ ٥٠٦)

(٢) مجموع فتاوى ابن باز - (٦ / ٢١٢)

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن جميل زينو - (٧/ ٦٢)

وقال الشيخ صالح الفوزان :

(ومن مظاهر موالاة الكفار: مدحهم، والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم؛ دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد. قال تعالى: {وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية، بل ذلك مطلوب؛ قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}، وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في االأصل للمسلمين؛ قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، وقال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} ٤، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً} .

فالواجب أن يكون المسلمون سباقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، يجب أن تكون لهم مصانع وتقنيات)[١].

المطلب الخامس :استعمال الحيلة والمكر بالعدو ما أمكن .

يحث العلماء دائماً على اتخاذ الحيلة في الحرب ، ويستحبون استعمالها ما أمكن ، لأنه قد تدرأ الحرب عن طريقها ويحصل المقصود والنصر بأقل الخسائر ،لاسيما وقد علمنا أن

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ٣١٢) .

الحرب في الإسلام ليست مقصودة لذاتها ، فإذا كان بالإمكان تحقيق الهدف دون إراقة دماء كثيرة كان هذا هو المتعين .

وفي صحيح البخاري (باب : الحرب خدعة) وأورد فيه الحديث : (الحرب خدعة).

قال ابن حجر :

(قال ابن المنير معنى الحرب خدعة أي الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر تكميل) [١].

وقال أيضا : (وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب ، والندب إلى خداع الكفار ، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه ، قال النووي : واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن ، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز ، قال ابن العربي الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالكمين ونحو ذلك . وفي الحديث الإشارة إلى استعمال الرأي في الحرب ، بل الاحتياج إليه آكد من الشجاعة ، وكذا وقع الاقتصار على ما يشير إليه بهذا الحديث ، وهو كقوله : (الحج عرفة).

وقال شيخ الإسلام :

(والقوة في كل ولاية بحسبها ؛ فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها ؛ فإن الحرب خدعة وإلى القدرة على أنواع القتال : من رمي وطعن وضرب وركوب وكر وفر ونحو ذلك)[٢].

---

(١) فتح الباري - ابن حجر - (٦ / ١٥٨) .

(٢) مجموع الفتاوى - (٢٨ / ٢٥٣) .

وفي سراج الملوك:

(واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء، وآخر ما يجب ركوبه قرع الكتائب وحمل الجيوش بعضها على بعض فليبدأ بصرف الحيلة في نيل الظفر)[١].

وفي تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة ت(٧٣٣هجرية):

(يستحب للسلطان إذا أراد غزاة أن يورّي بغيرها ؛ اقتداء برسول الله [صلى الله عليه وسلم] ؛ ولأن ذلك من مكايد الحروب ، إلا إذا دعت الحاجة إلى اظهاره لبعد الشقة وكلفة ذلك السفر ونحو ذلك . ويستحب أن يبعث الجواسيس والطلائع قبل الخروج وبعده ، ليطلع على أخبار العدو وقوته ، ويبث الجواسيس في عسكر العدو أيضاً إن أمكن ليطلع على أخبارهم حالا فحالا ، فيعلم منهم رؤساء العدو ، وعددهم ؛ وفرسانهم ، ويوجه إليهم بضروب من الخداع ، وتقوية الأطماع إن أمكن . ومن خدع الحرب أن ينشئ إليهم كتباً وأجوبة مزورة وأخباراً مدلسة ، ويكتب على السهام ويرمي بها إليهم ، ويبث في عسكرهم ما ينفعه فعله ، وكل ذلك وردت به السنة . وقال [صلى الله عليه وسلم] : ' الحرب خدعة ' وبالجملة ، فينبغي أن يجعل الحيل في حصول الظفر أولاً ، ويكون القتال آخر ما يرتكبه في نيل ظفره ، فإن الحبل في الحروب وجودة الرأي أبلغ من القتال ، لأن الرأي أصل والقتال فرع عليه ، وعنه يصدر ، وقد أجاد أبو الطيب في قوله :

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حرةٍ ... بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الفرسان

(١) سراج الملوك – (١ / ١٤٥) .

وقال الشيخ ابن باز :

(ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم في إعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة في ذلك ، وقد صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « الحرب خدعة » ومعناه : أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب ما لا يدركه بالقوة والعدد وذلك مجرب معروف ، وقد وقع في يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهود والكيد لهم على يد نعيم بن مسعود - رضي الله عنه - بإذن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما كان من أسباب خذلان الكافرين وتفريق شملهم واختلاف كلمتهم ، وإعزاز المسلمين ونصرهم عليهم ، وذلك من فضل الله ونصره لأوليائه ومكره لهم ، كما قال عز وجل : { وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ })[١]

وقال الشيخ زيد بن محمد المدخلي :

(..بل يجب أن يحاول جادا أن يمكر بهم ويخدعهم في الحرب، فإن الحرب خدعة ،كما في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الحرب خدعة " أي : إن الحرب الجيدة لأصحابها الكاملة في مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة ؛ وذلك لخطر المواجهة ولحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر)[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز - (٢ / ٤٤١)

(٢) عوامل النصر الشرعية ص (٢٣).

المطلب السادس : الألعاب الحربية .

وهي تعليم للصغار من الشباب على استعمال الأسلحة ،عن طريق المسابقات واللهو والمرح ، وغرس حب الجهاد في نفوسهم ، وكسر حاجز الخوف من الاسلحة إذا كان ذلك تحت إشراف أيدي أمينة ونوادي رسمية .

قال ابن القيم :

(قالوا ومما يبين أن العقد بدون المحلل أحل منه بالمحلل وأولى بالجواز أن المسابقة المناضلة من باب الاستعداد للجهاد فإذا تعلم الناس أسبابه وتدربوا فيها وتمرنوا عليها قبل لقاء العدو ألفاهم ذلك عند اللقاء قادرين على عدوهم مستعدين للقائه وكل من المتسابقين والمتناضلين يريد أن يغلب صاحبه كما يريد المقاتل أن يغلب خصمه فهو يتعلم غلبة صاحبه ليتوصل إلى غلبة عدوه)[1] .

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ :

(أما السؤال عن "حكم الرياضة في الإسلام" فلا شك في جواز أو استحباب ما كان منها بريئاً هادفاً مما فيه تدريب على الجهاد وتنشيط للأبدان وقلع للأمراض وتقوية للأرواح، فلقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سابق بالأقدام، وسابق بين الإبل وسابق بين الخيل، وحضر نضال السهام، وصار مع إحدى الطائفتين وطعن بالرمح، وركب الخيل مسرجة ومعراة، وصارع ركانة فصرعه.

---

(١) الفروسية - (٠ / ١٨٥) .

وقد بسط الإمام ابن القيم رحمه الله بحث هذا في كتابه "الفروسية" كما اشار رحمه الله في كتاب "زاد المعاد إلى أن ركوب الخيل ورمي النشاب والمصارعة والمسابقة بالأقدام كل ذلك رياضة للبدن، قالعة للأمراض المزمنة: كالاستسقاء، والقولنج.

ونص شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على حكم الشرع في الكرة نفسها فقال في: باب السبق: في مختصر فتاواه: ولعب الكرة إذا كان قصد صاحبه المنفعة للخيل والرجال بحيث يستعان بها على الكر والفر والدخول والخروج ونحوه في الجهاد وغر الاستعانة على الجهاد الذي أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم فهو حسن. وأن كان في ذلك مضرة بالخيل أو الرجال فإنه ينهى عنه)[١].

وسئل الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله _:

(فضيلة الشيخ: هل يقاس على جواز السبق بالنصل جواز السبق في السلاح كالبنادق الهوائية مثلاً؟

فقال الشيخ: (السبْق يجوز إلا في المحرّم، والسبَق هو الممنوع إلا في ثلاثة أشياء؛ لأن السبَق هو العوض، والسبْق هو التقدم، السبْق على الأقدام جائز إذاً السبْق في ثلاثة أشياء: في النصل، والحافر، والخف، وما كان بمعناها فهو مثلها، فالبنادق والصواريخ الآن مثلها، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لا يوجد إلا السهام لكن الآن تطورت الأسلحة، أي سلاح فإنه يجوز المسابقة عليه بعوض.كذلك أيضاً الدبابات، والطائرات الحربية، وناقلات الجنود كلها يجوز فيها السبْق)[٢].

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ :(٨/ ١١٥) .

(٢) لقاء الباب المفتوح (٧٣/ ٣٠، بترقيم الشاملة) .

وقال أيضا _ رحمه الله _ :

(ففي هذه الأحاديث وأشباهها حث على تعلم الرمي وعلى أن الإنسان ينبغي له أن يتعلم كيف يرمي ولو بالأسلحة الخفيفة لأنه لا يدري ماذا يحدث له حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز العوض في المسابقة في الرمي يعني مثلا رمي اثنان بالبندقية أو شبهها من السلاح ويجعلون بينهما عوضا من يرمي منهم يأخذه)[١].

بل أفتى العلماء بوجوب المسابقات الحربية في بعض الأحيان .

قال المناوي رحمه الله :

(وأقول الذي يتضمنه التحقيق أن الرمي وتعلم الفروسية وتعليم الفرس تجري فيه الأحكام الخمسة فأصله مباح ثم قد يجب إن تعين ذلك طريقا للجهاد الواجب عينا أو كفاية وقد يندب بقصد الغزو عند عدم تعينه وقد يكره إن قصد به مجرد اللهو واللعب وقد يحرم إن قصد به نحو قطع الطريق)[٢] .

وفي سؤال الى اللجنة الدائمة :

(س: يوجد ناد للفروسية ترعاه رئاسة الحرس الوطني، وقد بدر للمسئولين عن النادي المذكور فكرة وهي: أن يجعلوا جوائز للوافدين لهذا النادي، وهي كالتالي: عند قطع التذاكر يكون من ضمنها ذات جوائز لا يعلم بها المشتري لها، وإنما أثناء السباق أو بعد نهاية الشوط يدعى صاحب التذكرة رقم كذا، ويعطى مثلا ساعة أو أقل أو أكثر، فنحن

(١) شرح رياض الصالحين (٥/ ٣٨٠) .

(٢) فيض القدير (١/ ٤٧٩) .

نسأل: هل يجوز هذا شرعا؟ والهدف منه تشجيع الناس على الفروسية، وتحبيبهم فيها. نرجو إصدار الفتوى في ذلك، وفي أنواع أخرى من السباق، رعاكم الله وحفظكم)[1].

وجاء في الجواب:

(أولا: السباق على الخيل والإبل والأسلحة ونحوها من عدد الجهاد، كالطائرات والدبابات للتدريب عليها وكسب الفروسية، واجب أو مستحب حسب ما تقتضيه حاجة المسلمين في الجهاد؛ دفاعا عن حوزتهم، ونصرة لدينهم، وتيسيرا لنشر الإسلام، ولمن يقوم بذلك، أو يساعد عليه بفكره أو مهارته فيه أو بماله- الأجر والثواب. ثانيا: أخذ الجوائز التي تعطى لمن يفوز من المتسابقين في السباق جائز إذا كانت من ولي الأمر العام أو نائبه، أو كانت تبرعا من غير المتسابقين، ولمن يبذل الجوائز من غير المتسابقين الأجر والثواب إذا أراد به وجه الله، قال الله -تعالى-: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر » رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وحسنه، وصححه ابن القطان وابن حبان. وإن كانت الجوائز من أحد المتسابقين عن طيب نفس منه؛ ليأخذها من فاز، فذلك جائز لكونه لا ميسر فيه، وإن كانت الجوائز لبعض من اشترى التذاكر ممن حضر لمشاهدة السباق فقط فلا يجوز؛ لأنها مقامرة بين من حضروا لمشاهدة المتسابقين، لكن إن تبرع ولي الأمر أو أحد المحسنين بقيمة الجوائز، وأعطيت التذاكر لمن حضر لمشاهدة السباق بلا مقابل منه- فلا حرج في

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة: (١٥/ ١٧٠).

ذلك، مع تحقق الهدف من السباق ومشاهدته، وأن يكون شرعيا. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

نائب الرئيس ... الرئيس

عبد الرزاق عفيفي ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز)

وفي التشريع الجنائي في الإسلام :

(..لأن ألعاب الفروسية ضرورة اجتماعية اقتضتها مصلحة الأفراد والجماعة من الوجهات الصحية والخلقية والحربية والاجتماعية، ولا توجد دولة اليوم إلا وتحض عليها وتشجعها وتلقنها النشء في المدارس كما تلقن العلوم الضرورية، بل إنها أصبحت من العلوم الأولية في المدارس التي تعد رجال البوليس والجيش، وإذا كان لألعاب الفروسية هذه المنزلة في حياة الأمة فمن المنطق أن تعتبر واجباً على الأفراد لا حقاً لهم؛ لأن الواجب هو ما لا يستطيع التخلي عنه)[١].

وقد كان السلف حريصين على الألعاب الحربية وكانوا يتواصون بها، فكتب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى أبي عبيدة ـ رضي الله عنه ـ «أن علموا غلمانكم العوم ومقاتِلَتكم الرمي».

وقال سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: «عليكم بالرمي؛ فإنه خير لَهوِكُم».

وفي مجمع الزوائد أن أنساً ـ رضي الله عنه ـ كان يجلس ويُطرح له فراش ويجلس عليه ويرمي ولده بين يديه، فخرج يوماً وهم يرمون فقال: يا بنيَّ! بئس ما ترمون، ثم أخذ القوس فرمى؛ فما أخطأ القرطاس».

---

(١) (٢/ ٨٣).

المطلب السابع :الادخار وتخزين ما هو ضروري :

ينبغي تخزين ما هو ضروري قبل أوقات الأزمات ، من أسلحة أو أطعمة أو مياه أو أدوات وأجهزة مهمة أو ملابس ..ألخ ، فوجود مخازن كثيرة لما هو ضروري يجعل الدول والمجتمعات تصمد اثناء الحروب ،ولا تصاب بالخوف والرعب والهلع ، فلابد من توفر المخازن في كل منطقة ، وكذلك لابد أن تخزن كل أسرة كمية كافية مما هو ضروري من ذلك في فترات الحروب ، بل وقبل ذلك أي في أثناء التوترات .

بل لا مانع من التخزين والادخار حتى في الأحوال العادية ، وقد كان المسلمون في السابق يخزنون الطعام في بيوتهم لمدة عام أو أكثر مع توفر الزراعة الكافية لديهم وسهولة الحياة وبساطتها في زمانهم ، ومع توفر الأنعام عندهم وكثرتها حتى لا يكاد يخلو بيت منها ولو كان عددا قليلا منها ،وكان معظم طعامهم من ألبانها وأسمانها وقد قال الرسول صلى اللله عليه وسلم . " اتخذوا الغنم ، فإن فيها بركة "[(١)]

وكذلك كانت الدولة الإسلامية تخزن الطعام في بيت المال ، وتجعل للأنعام مكانا مخصصا وحمى دائما لها ، وهي ثروة المسلمين في ذلك الوقت .

ففي صحيح البخاري:(باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله ، وكيف نفقات العيال). أخرج فيه حديث عمر رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم " .

---

(١) صححه الألباني (السلسلة الصحيحة : (٢ / ٢٧٢) .

قال ابن القيم :

(وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد وجميع أصحابه وهم أولو التوكل حقا)[١] .

وقال ابن الجوزي :

(واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} وقد أدخر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأزواجه قوت سنة)[٢].

وقال ابن حجر :

(فقد ثبت في الصحيحين أنه كان إذا جاءه ما فتح الله عليه من خيبر وغيرها من تمر وغيره يدخر قوت أهله سنة ثم يجعل ما بقي عنده عدة في سبيل الله تعالى)[٣].

وفي شرح صحيح البخاري لابن بطال :

(قال المهلب : فى هذا الحديث دليل على جواز ادخار القوت للعالم للأهل والعيال ، وأن ذلك لا يكون حكرة ، وأن ما ضمه الإنسان من أرضه أو جَدَّه من نخله وثمره وحبسه لقوته لا يسمى حكرة ، ولا خلاف فى هذا بين الفقهاء . قال الطبرى : فى هذا رد على الصوفية فى قولهم : إنه ليس لأحد ادخار شىء فى يومه لغده ، وأن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ، ولم يتوكل عليه حق توكله ، ولا خفاء بفساد هذا القول ؛ لثبوت الخبر

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (٢ / ١٣٥) .

(٢) تلبيس إبليس (ص: ٣١٩)

(٣) فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ٢٨٠) .

عن رسول الله (صلىٰ الله عليه وسلم) أنه كان يدخر لأهله قوت السنة . وفيه أكبر الأسوة لأمر الله تعالىٰ عباده باتباع سنته ، فهو الحجة علىٰ جميع خلقه)[١] .

وفي كشف المشكل من حديث الصحيحين :

(فيه جواز ادخار قوت سنة ولا يقال هذا من طول الأمل لأن الإعداد للحاجة مستحسن شرعا وعقلا وقد استأجر شعيب موسىٰ عليهما السلام عشر سنين وفي هذا رد علىٰ جهلة المتزهدين في إخراجهم من يفعل هذا عن التوكل)[٢] .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه : اشترىٰ وسقا [٣]من طعام، فقيل له : تشتري وسقا من طعام ؟ . فقال : « إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت»)[٤].

وجاء في صحيح مسلم (باب فىٰ ادخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال) وذكر فيه حديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم " لا يجوع أهل بيت عندهم التمر" .

قال النووي :

(فيه قوله صلىٰ الله عليه و سلم (لا يجوع أهل بيت عندهم التمر) وفىٰ الرواية الأخرىٰ بيت لا تمر فيه جياع أهله فيه فضيلة التمر وجواز الادخار للعيال والحث عليه)[١].

---

(١) شرح صحيح البخارىٰ ـ لابن بطال – (٧/ ٥٣٣) وانظر شرح النووي علىٰ مسلم – (١٢ / ٧٠).

(٢) (١ / ٦٣).

(٣) الوسق : مكيال مقداره ستون صاعا ،وعند تقديره بوضعنا الحالي نقول :الصاع ثلاث كيلو من اللأرز إلا شيئا يسيرا ، فهو قد إدخر لأسرته مايقارب مئة وسبعون كيلو من الرز ، وإن كان من البر فقد إدخر ما يقارب المئة والخمسون كيلو منه .

(٤) إصلاح المال – (١ / ٩٢)

وقال القرطبي :

(وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((بيتٌ لا تمر فيه جياع أهله)) ؛ هذا إنما عنى به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، ومن كان على حالهم ، من غالب قوتهم : التمر ، وذلك : أنه إذا خلا البيت عن غالب القوت في ذلك الموضع كان عن غير الغالب أخلى ، فيجوع أهله ؛ إذ لا يجدون شيئًا . ويصدق هذا القول على كل بلد ليس فيه إلا صنف واحد ، أو يكون الغالب فيه صنفًا واحدًا ، فيقال على بلد ليس فيه إلا البز : بيت لا بز فيه جياع أهله ويفيد هذا التنبيه على مصلحة تحصيل القوت ، وادِّخاره ؛ فإنَّه أسكن للنفس غالبًا ، وأبعد عن التشويش)[٢] .

المطلب الثامن : من أعظم أسباب دفع البلاء والنصر على الأعداء ، تعجيل التوبة وعدم التسويف قبل حلول المصائب والعذاب .

قال شيخ الإسلام:

(ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الافاق وفي انفسنا وبما شهد به في كتابه ان المعاصي سبب المصائب فسيئات المصائب والجزاء هي من سيئات الاعمال وان الطاعة سبب النعمة فإحسان العبد العمل سبب لإحسان الله عز وجل)[٣] .

---

(١) شرح النووي على مسلم - (١٣ / ٢٣٠)

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (١٧ / ٣٨)

(٣)الاستقامة (٢/ ٢٣٤-٢٣٥).

وقال أيضاً:

(وهذا لأن المعاصي سبب لنقصان الرزق والخوف من العدو كما يدل عليه الكتاب والسنة ..)[١].

وقال الشيخ السعدي:

(.. هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره)[٢].

وقال الشيخ ابن باز :

(هذا هو الواجب على جميع الدول الإسلامية والعربية وعلى جميع المسلمين ، وعلى الجميع أن يتقوا الله وأن يعظموا شرعه ، وأن يتوبوا إليه من تقصيرهم وذنوبهم ، وأن يعلموا أن ما أصابهم فهو بسبب ذنوبهم وسيئاتهم ، فالتوبة إلى الله فيها الخير العظيم والسعادة في الدنيا والآخرة.

فنصيحتي لنفسي ولجميع المسلمين في كل مكان ، أن يتقوا الله ويتوبوا إليه ، ويستقيموا على دينه ، وأن يخلصوا له العبادة ، وأن يحذروا ما حرم عليهم سبحانه ، ولا شك أن الرجوع إلى الحق والحرص على تحكيم الشرع والحذر مما يخالفه هو طريق أهل الإيمان

---

(١) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية (ص: ٨٧).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٨٥)

وسبيلهم ، وهو طريق العزة والكرامة ، وهو طريق الإنصاف والحكمة ، وهو الواجب على كل المسلمين دولا وشعوبا وأفرادا وجماعات). [١]

وقال أيضاً:

(هذه الآية العظيمة خطاب لجميع المؤمنين أوضح فيها سبحانه أنهم إذا نصروا الله نصرهم سبحانه وتعالى. ونصر الله من المؤمنين هو: اتباع شريعته ونصر دينه والقيام بحقه، وليس هو سبحانه في حاجة إلى عباده بل هم المحتاجون إليه كما قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} [فاطر: ١٥-١٦] فالناس كلهم جنهم وإنسهم ملوكهم وعامتهم كلهم في حاجة إلى ربهم وكلهم فقراء إلى الله ، والله سبحانه هو الغني الحميد، فنصره سبحانه هو نصر شريعته، وهو نصر دينه هذا هو نصره، نصر ما بعث به رسوله وأنزل به كتابه الكريم، فإذا قام المسلمون بنصر دينه والقيام بحقه ونصر أوليائه نصرهم الله على عدوهم ويسر أمورهم وجعل لهم العاقبة الحميدة كما قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } [هود: ٤٩] وقال سبحانه: { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } [آل عمران: ١٢٠] والصبر والتقوى يكونان بنصر الله، والقيام بدينه) [٢].

وقال الشنقيطي :

("وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير "

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ١٤٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١٨/ ٣٨٤)

هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعا حسنا إلى أجل مسمى ؛ لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن : سعة الرزق ، ورغد العيش ، والعافية في الدنيا ، وأن المراد بالأجل المسمى : الموت ، ويدل لذلك قوله تعالى في هذه السورة الكريمة عن نبيه هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم)، وقوله تعالى عن «نوح» : (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) ، وقوله تعالى : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) الآية ، وقوله : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) الآية ، وقوله : (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) ، وقوله :(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)، إلى غير ذلك من الآيات)[1].

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (٢ / ١٧٠)

الفهرس



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



سلسلة ﴿وأعدوا﴾ (١)

تأملات في قوله تعالى:
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾

تأليف